الفصل الأول

فُرْسَانُ النَّهَارِ

لِمَاذَا؟

فُرْسَانُ النَّهَارِ لِمَاذَا؟

عندَ زئير الأسدِ في الصباح سَمَّوْنا بأسمائِنا
في ليلةِ مولدِ الذئبِ خَرَجْنا إلى الدنيا
وفي أعشاشِ النسور أرضعَتْنَا أمهاتُنا
ومنذ طُفُولَتِنا علَّمَنا آباؤُنا فنونُ الفروسيةِ
والتَّنَقُّلَ بخفةِ الطيرِ في جبالِ بلادِنا الوَعِرَة
لا إله إلا الله
لهذه الأمةِ الإسلاميةِ، ولهذا الوطنِ ولدتْنَا أمهاتُنا
ووقفنا دائمًا شجعانًا نلبي نداء الأمة والوطن
لا إله إلا الله
جبالُنا المكسورةُ بحجر الصَّوَانِ
عندما يُدَوِّي في أرجائها رَصَاصُ الحربِ
نقفُ بكرامةٍ وشرف على مَرِّ السنين
نتحدى الأعداءَ مهما كانتِ الصعابُ
وبلادُنا عندما تتفجَّرُ بالبارودِ
من المحال أن نُدفنَ فيها إلا بشرفٍ وكرامةٍ
لا إله إلا الله
جراحُنا تضمِّدُها أمهاتُنا وأخواتُنا بذكِر الله

ونظراتُ الفجرِ في عيونِهنَّ تثيرُ فينا مشاعر القوَةِ والتحدي

لا إله إلا الله

إذا حاولُوا تجويعَنا سنأكلُ جذورَ الأشجار

وإذا مُنِعَ عنا الماءُ سنشربُ نَدَى النَّبَاتِ

فَنَحنُ في ليلةِ مولدِ الذئب خَرجْنا للدنيا

ونحنُ دائمًا سنبقى مُطِيعين

للهِ وللوطنِ وهذه الأمةِ

لا إله إلا الله

إن الأمة التي تحسن صناعة الموت، وتعرف كيف تموت الموتة الشريفة، يهب لها اللَّه الحياة العزيزة في الدنيا، والنعيم في الآخرة، وما الوهن الذي أذلَّنا إلا حب الدنيا وكراهية الموت، فأعدوا أنفسكم لعمل عظيم، واحرصوا على الموت توهب لكم الحياة.

والموت لا بدَّ منه، ولن يكون إلا مرَّة واحدة، فإن جعلتموها في سبيل اللَّه كان ذلك ربح الدنيا وثواب الآخرة.

إن النفرة للجهاد في سبيل اللَّه انطلاق من قيد الأرض، وارتفاع من ثقلة اللحم والدم، وتحقيق للمعنوي العلوي في الإنسان، وتغليب لعنصر الشوق ـ المجنَّح في كيانه ـ على عنصر القيد والضرورة.

بالجهاد الذي فيه الشُّقَة والعناء، يذهب الهمُّ والغمُّ، ولكنها الشُّقة البعيدة التي تتناحر دونها الهمم الساقطة، والعزائم الضعيفة، ولكنه الجهد الخطر الذي تجزع منه الأرواح الهزيلة المنخوبة، ولكنه الأفق العالي الذي تتخاذل دونه النفوس الصغيرة والبنية المهزولة.

كثيرٌ هم أولئك الذين يتهاوون في الطريق الصاعد إلى الآفاق الكريمة، إنهم

ليعيشون على حاشية الحياة، وإن خُيِّل إليهم أنهم بلغوا منافع ونالوا مطالب، واجتنبوا أداء الثمن الغالي، فالثمن القليل لا يشترى سوى التافه الرخيص.

أفلا عاقل يعلم أن الجنة تحت ظلال السيوف، وأن الرَّيَّ الأعظم في شرب كئوس الحتوف، وأنَّ من اغبرَّت قدماه في سبيل الله، حرَّمه اللَّه على النار، ومن أنفق دينارًا، كُتب له به سبعُ مئة دينار، وأن الشهداء حقًّا عند اللَّه من الأحياء، وأن أرواحهم في جوف طير خضر تتبوأ من الجنة حيث تشاء، وأنه لا يحسُّ ألم القتل إلا كمسِّ القرصة، وكم للموت على الفراش من سكْرة وغُصَّة. فهذا فضل لا يُضاهي، وخير لا يتناهى، فهل من متعرِّض لهذه الرتب وإن كان نيلها مقسومًا، وصرف عمره في طلبها وإن كان منها محرومًا، ومشمِّر للجهاد على ساق الاجتهاد.

هل من نفير إلى ذوي العناد من كل العباد، وتجهيز الجيوش والسرايا، وبذل الصلات والعطايا، وإقراض الأموال لمن يضاعفها ويزكِّيها، ودفع سلع النفوس من غير مماطلة لمشتريها، وأن ننفر في سبيل اللَّه خفافًا وثقالًا، ونتوجه لجهاد أعداء اللَّه رُكبانًا ورجالًا، وأن نجرَّ الخميس القمقام[1] إلى أولياء إبليس اللئام، حتى يخرجوا إلى الإسلام من أديانهم، ويُعطوا الجزية صغرة بأَيْمانهم، أو نستلب نفوسهم من أبدانهم، ونجتذب رءوسهم من تيجانهم، فجموع ذوي الإلحاد مكسَّرة، وجيوش أولي العناد مُدبرة مُدَمَّرة، وعزمات رجال الضلال مؤنثة مُصَغَّرة، أفلا نطير إليهم زرافات ووحدانا، ونغير عليهم رجالًا وفرسانًا، ونخاطر بالنفوس والمهج، ونركب قفر البرِّ وثبج البحر لنيل الدَّرج، أفلا يبيت كل منا وسلاحه له ضجيعًا، ويصبح معترك الحروب للمسلمين ربيعًا، وحرُّ الوطيس لهم غيثًا مَريعًا[2].

أفلا نُبيد بأيدي الجلاد حماة الشرك وأنصاره، ونصولُ بنصول الحداد على

(١) القمقام: العدد الكثير.

(٢) المريع: الخصيب.

دُعاة الكفَّار؛ لنهتك أستاره، ونتطهَّر بدماء المشركين والكفَّار من أرجاس الذنوب وأنجاس الأوزار.

ألا من أيام تعود، تلمع البيض البواتر في ظلمات نَقْع كالدياجِرْ، وجريان الدم الذاخر من الحناجر بالخناجر، هُنالك تُفتح من الجنة أبوابها، وترتفع فرشها، وتُوضع أكوابها، وتبرز الحور العين عروبها وأترابها، هنالك يقوم للجهاد خُطَّابها، يضربون فوق الأعناق، ويستعذبون من المنيَّة مُرَّ المذاق، ويبيعون الحياة الفانية بالعيش الباق، يردون مورد الشهادة منهلًا لن يظمئوا بعده أبدًا، تربح تجارتهم وهم أسعد السعداء.

يا رجال الله، أَتُقفل أبواب الجهاد فلا تُطرَق؟! وتُهمل أسبابه فلا ترمق! وُتَصَّفنُ خيوله فلا تركض! وتصمت طبوله فلا تنبض! وتربض أسوده فلا تنهض! أتمتد أيدي الكفرة الأذلاءِ إلى المسلمين فلا تُقبض! أَتُغمد السيوف من أعداءِ الدين؛ إخلادًا إلى حضيض الدَّعَة والأمان! ويخرس لسان النفير إليهم فصاح نفيرهم في أهل الإيمان!

آمَتْ عروس الشهادة إذْ عدمت الخاطبين، وأمات الناسُ الجهادَ كأنهم ليسوا به مخاطبين، فلا نجد إلا من طوى بساط نشاطه عنه، أو اثاقل إلى نعيم الدنيا الزائل رغبةً منه، أو تركه جزعًا من القتل وهلعًا، أو أعرض عنه شُحًّا على الإنفاق وطمعًا، أوْ جهل ما فيه من الثواب الجزيل، أو رضِي بالحياة الدنيا من الآخرة، وما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل.

أفلا يقظة للهمم الرُّقَّدْ! أفلا نهضة للعزم المُقْعَد!

أيهوى نجم الجهاد بعد أن كان مشرِقًا سَنِيًّا، وينمحي رسْمُه واسمه كأن لم يكن له من قبل سَمِيًّا؟! [1]

---

(١) انظر: مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق لابن النحاس.

فُرْسَانُ النَّهَارِ.. لِمَاذَا؟

حين نكتب عن فرسان النهار.. ونكتب عن الجهاد فذلك لأسباب؛ منها:

١ـ أن الجهاد ذروة سنام الإسلام، وعلاة الهمم لا يرضون بالدون من الأمور:

أَيَا صَاحِ هَذَا الرَّكْبُ قَدْ سَارَ مُسْرِعًا ... ونَحْنُ قُعُودٌ مَا الَّذِي أَنْتَ صَانِعُ

أَتَرْضَى بَأَنْ تَبْقَى المُخَلَّفُ بَعْدَهُمْ ... رَهِينُ الأَمَانِي وَالْغَرَامُ يُنَازِعُ

عَلَى نَفْسِهِ فَلْيَبْكِ مَا كَانَ بَاكِيًا ... أَيَذْهَبُ وَقْتٌ وَهْوَ بِاللَّهْوِ ضَائِعُ

«إن الجهاد والهجرة إلى الجهاد جزء أصيل لا يتجزأ عن طبيعة هذا الدين، والدين الذي ليس فيه جهاد لا يستطيع أن يثبت فوق أي أرض، ولا أن تستوي شجرته على سوقها، وأصالة الجهاد ـ التي هي من صميم هذا الدين، ولها وزنها في ميزان ربِّ العالمين ـ ليست ملابسة طارئة من ملابسات تلك الفترة التي تَنَزَّلَ فيها القرآن، وإنما هو ضرورة مصاحبة لهذه القافلة التي يوجهها هذا الدين.

يقول الأستاذ/ سيد قطب في «الظلال» (٧٤٢/٢): «لو كان الجهاد ملابسةً طارئةً في حياة الأمة المسلمة ما استغرق كل هذه الفصول من صلب كتاب اللَّه في مثل هذا الأسلوب، ولما استغرق كذلك كل هذه الفصول من سنَّة رسول اللَّه ﷺ وفي مثل هذا الأسلوب.

لو كان الجهاد ملابسة طارئة ما قال رسول اللَّه ﷺ تلك الكلمة لكل مسلم إلى قيام الساعة: «**مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَغْزُ وَلَمْ يُحَدِّثْ نَفْسَهُ بِغَزْوٍ مَاتَ عَلَى شُعْبَةٍ مِنَ النِّفَاقِ**»(١).

إن اللَّه ـ سبحانه ـ يعلم أن هذا أمر تكرهه الملوك، ويعلم أن لا بد لأصحاب السلطان أن يقاوموه؛ لأنه طريق غير طريقهم، ومنهج غير منهجهم، ليس بالأمس فقط، ولكن اليوم وغدًا، وفي كل أرض، وفي كل جيل.

---

(١) رواه مسلم عن أبي هريرة.

وإن اللَّه ـ سبحانه ـ يعلم أن الشر متبجح، ولا يمكن أن يكون منصفًا ولا يمكن أن يدع الخير ينمو مهما يسلك هذا الخير من طريق سليمة موادعة، فإن مجرد نمو الخير يحمل الخطر على الشر، ومجرد وجود الحق يحمل الخطر على الباطل.

ولا بد أن يجنح الشر إلى العدوان، ولا بد أن يدافع الباطل عن نفسه بمحاولة قتل الحق وخنقه بالقوة.

هذه جبلة.. وليست ملابسة وقتية.

هذه فطرة.. وليست حالة طارئة.

ومن ثم لا بد من الجهاد... لا بد منه في كل صورة.. ولا بد أن يبدأ في عالم الضمير، ثم يظهر فيشمل عالم الحقيقة والواقع والشهود... ولا بد من مواجهة الشر المسلح بالخير المسلح... ولا بد من لقاء الباطل المتترس بالعدد بالحق المتوشح بالعدة... وإلَّا كان الأمر انتحارًا، أو كان هزلًا لا يليق بالمؤمنين».

أَنَا لَا أَلُومُ الْمُسْتَبِدَّ إِذَا تَجَبَّرَ أَوْ تَعَدَّى فَسَبِيلُهُ أَنْ يَسْتَبِدَّ وَشَأْنُنَا أَنْ نَسْتَعِدَّا

٢ـ الاستجابة للنداء الرَّباني:

قال ـ تَعَالَى ـ: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾ [التوبة: ٤١].

وقد أورد القرطبي (في تفسيره ٨/ ١٥٠) في تفسيرها عشرة أقوال:

﴿خِفَافًا وَثِقَالًا﴾

١ـ روي عن ابن عباس: شبانًا وكهولًا.

٢ـ روي عن ابن عباس، وقتادة: نشاطًا وغير نشاط.

٣ـ الخفيف: الغني، والثقيل: الفقير، قاله مجاهد.

٤ـ الخفيف: الشاب، والثقيل: الشيخ، قاله الحسن.

٥ـ مشاغيل وغير مشاغيل، قاله زيد بن علي، والحكم بن عتيبة.

٦ـ الثقيل: الذي له عيال، والخفيف: الذي لا عيال له، قاله زيد ابن أسلم.

٧ـ الثقيل: الذي له ضيعة يكره أن يدعها، والخفيف: الذي لا ضيعة له، قاله ابن زيد.

٨ـ الخفاف: الرجال، الثقال: الفرسان، قاله الأوزاعي.

٩ـ الخفاف: الذين يسبقون إلى الحرب كالطليعة وهو مقدمة الجيش، الثقال: الجيش بأسره.

١٠ـ الخفيف: الشجاع، الثقيل: الجبان، حكاه النقاش.

والصحيح في معنى الآية: أن الناس أمروا جملة؛ أي: انفروا، خفت عليكم الحركة أو ثقلت. روي أن ابن أم مكتوم جاء إلى رسول اللَّه ﷺ وقال له: أعليَّ أن أغزو؟ فقال: «**نعم**» حتى أنزل اللَّه ـ تَعَالَى ـ: ﴿لَّيۡسَ عَلَى ٱلۡأَعۡمَىٰ حَرَجٞ﴾.

وهذه الأقوال إنما هي على معنى المثال، في الثقل والخفة، ولا يشك عاقل أن حالتنا التي نعيشها في أفغانستان وفي فلسطين[١].. بل في معظم أرجاء العالم الإسلامي داخلة تحت نص هذه الآية.

فقد اتفق المفسرون، والمحدثون، والفقهاء، والأصوليون على أنه إذا دخل العدو أرضًا إسلامية، أو كانت في يوم من الأيام دارًا للإسلام، فإنه يجب على أهل تلك البلدة أن يخرجوا لملاقاة العدو، فإن قعدوا، أو قصروا، أو تكاسلوا، أو لم يَكْفُوا توسَّع فرض العين على من يليهم، فإن قصروا، أو قعدوا، فعلى من يليهم، وثم وثم حتى يعم فرض العين الأرض كلها، ولا يسع[٢] أحدٌ تركَه؛ كالصلاة، والصيام بحيث يخرج الولد دون إذن والده، والمدين دون إذن دائنه، والمرأة دون إذن زوجها، والعبد دون إذن سيده، ويبقى فرض العين مستمرًا حتى تطهر البلاد من رجس الكفار.

---

(١) والعراق، وكشمير، والفلبين، والبوسنة والهرسك.

(٢) لا يسع: لا يجوز لأحد.

يقول ابن تيمية: «والعدو الصائل الذي يفسد الدين والدنيا ليس أوجب بعد الإيمان من دفعه». والحق المبين الذي لا محيد عنه قول أبي طلحة عندما قرأ: ﴿ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا﴾، قال: «شبانًا وكهولًا، ما سمع اللَّه عذر أحد»، ثم قال: «أي بني، جهزوني جهزوني، فقال بنوه: يرحمك الله، لقد غزوت مع النبي ﷺ حتى مات، ومع أبي بكر حتى مات، ومع عمر حتى مات، فنحن نغزوا عنك، فقال: لا، جهزوني»، فغزا في البحر، فمات في البحر، فلم يجدوا له جزيرة يدفنوه فيها إلَّا بعد سبعة أيام، فدفنوه فيها، ولم يتغير رضي الله عنه.

يقول القرطبي (١٥١/١٨) في تفسيره: «إذا تعين الجهاد بغلبة العدو على قطر من الأقطار، أو بحلوله بالعقر (أصل الدار)، فإذا كان ذلك وجب على جميع أهل تلك الدار أن ينفروا ويخرجوا إليه خفافًا وثقالًا، شبابًا وشيوخًا، كلٌّ على قدر طاقته، من كان له أب بغير إذنه ومن لا أب له.

ولا يتخلف أحد يقدر على الخروج من مقاتل أو مكثر، فإن عجز أهل تلك البلدة على القيام بعدوهم كان على من قاربهم وجاورهم أن يخرجوا على حسب ما لزم أهل تلك البلدة، حتى يعلموا أن فيهم طاقة على القيام بهم ومدافعتهم.

وكذلك كل من علم بضعفهم عن عدوهم، وعلم أنه يدركهم ويمكنه غياثهم لزمه ـ أيضًا ـ الخروج إليهم، فالمسلمون كلهم يد على من سواهم، حتى إذا قام بدفع العدو أهل الناحية التي نزل العدو عليها واحتلها سقط الفرض عن الآخرين.

ولو قارب العدو دار الإسلام، ولم يدخلوها لزمهم ـ أيضًا ـ الخروج إليه، حتى يظهر دين الله، وتحمى البيضة، وتحفظ الحوزة، ويخزى العدو، ولا خلاف في هذا، وما أجمل أبيات النابغة الجعدي وهو يخاطب زوجته التي ترجوه أن يجلس عند عائلته:

بَـاتَـتْ تُـذَكِّـرُنِـي بِـالـلَّـهِ قَـاعِـدَةً وَالدَّمْعُ يَهْطِلُ مِنْ شَأْنَيْهِمَا سَبِلَا[1]

(١) شأنيهما: طريقا الدمع. سبلًا: غزيرًا.

يَا بِنْتَ عَمِّي كِتَابُ اللَّهِ أَخْرَجَنِي كَرْهًا وَهَلْ أَمْنَعَنَّ اللَّهَ مَا فَعَلاَ؟
فَإِنْ رَجَعْتُ فَرَبُّ الْخَلْقِ أَرْجَعَنِي وَإِنْ لَحِقْتُ بِرَبِّي فَابْتَغِي بَدَلاَ[1]
مَا كُنْتُ أَعْرَجَ أَوْ أَعْمَى فَيَعْذِرَنِي أَوْ ضَارِعًا مِنْ ضَنَى لَمْ يَسْتَطِعْ حِوَلاَ[2]

٣ـ اتباعًا للسلف الصالح:

فقد كان الجهاد ديدنًا للسلف الصالح، وكان ﷺ سيدًا للمجاهدين، وقائدًا للغرِّ الميامين، فكانوا إذا اشتد الوطيس يحتمون برسول اللَّه ﷺ، فيكون أقربَهُم للعدو، وعددُ مغازيه ﷺ التي خرج بنفسه فيها سبع وعشرون، وقاتل في تسع منها بنفسه: (بدر، وأُحد، والمريسيع، والخندق، وقريظة، وخيبر، وفتح مكة، وحنين، والطائف)، وهذا على قول من قال: مكة فتحت عُنْوَةً.

وكانت سراياه التي بعثها سبعًا وأربعين، وقيل: إنه قاتل في بني النضير. (نهاية المحتاج ٨/١٦).

وهذا يعني أن رسول اللَّه ﷺ كان يخرج في غزوة أو يرسل سرية في كل شهرين أو أقل.

وسار الصحب الكرام على سنَّة النبي الكريم ﷺ، فلقد كان القرآن الكريم يربي هذا الجيل تربيةً جهادية، ويحميهم من أن ينغمسوا في الدنيا كما يحمي أحدنا لديغه من الماء.

فقد روى الحاكم في «**المستدرك**» (٢/٢٧٥) وصححه ووافقه الذهبي: عن أسلم أبو عمران قال: حمل رجل من المهاجرين ـ بالقسطنطينية ـ على صف العدو حتى خرقه، ومعنا أبو أيوب الأنصاري، فقال ناس: ألقى بيده إلى التهلكة، فقال أبو أيوب: نحن أعلم بهذه الآية.. إنما نزلت فينا، صحبنا رسول اللَّه ﷺ وشهدنا

---

(١) فابتغي بدلًا: تزوجي غيري.
(٢) ضارعًا من ضنى: ضعيفًا من مرض.

معه المشاهد، ونصرناه، فلما فشا الإسلام وظهر.. اجتمعنا معشر الأنصار تحببًا، فقلنا: فقد أكرمنا اللّه بصحبة نبيّه ﷺ حتى فشا الإسلام وكثر أهله، وكنا قد آثرناه على الأهلين، والأموال، والأولاد، وقد وضعت الحرب أوزارها، فنرجع إلى أهلنا وأولادنا، فنقيم فيهما، فنزل فينا: ﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥]، فكانت التهلكة في الإقامة في الأهل والمال، وترك الجهاد.

وقد روى عكرمة أن ضمرة بن العيص ـ وكان من المستضعفين في مكة، وكان مريضًا ـ فلما سمع ما أنزل اللّه في الهجرة، قال: أخرجوني، فَهُيِّئَ له فراش، ثم وُضِعَ عليه، وخرج به فمات في الطريق بالتنعيم (على بعد ٦كم من مكة)[١].

وأسند الطبري عمن رأى المقداد بن الأسود في «**حمص**» على تابوت صراف، وقد فضل على التابوت من سمنه، وهو يتجهز للغزو، فقيل له: عذرك الله، فقال: أبت علينا سورة البعوث: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا﴾.

وقال الزهري: خرج سعيد بن المسيب إلى الغزو وقد ذهبت إحدى عينيه، فقيل له: إنك عليل، فقال: استنفر اللّه الخفيف والثقيل، فإن لم يمكني الحرب كثرت السواد، وحفظت المتاع.

وروي أن بعض الناس رأى في غزوات الشام رجلًا قد سقط حاجباه على عينيه من الكبر، فقال له: يا عم، إن اللّه قد عذرك، فقال: يا ابن أخي، قد أمرنا بالنفر خفافًا وثقالًا...[٢]

وهذا إبراهيم بن أدهم عندما أحسن بالموت قال: أوتروا لي قوسي، وتوفي وهي في كفه، ودفن في إحدى جزائر البحر في بلاد الروم..[٣].

وهذا عبداللّه بن المبارك كان يقطع مسافة ألفين وستمائة كيلو متر راجلًا أو

(١) القرطبي ٣٤٩/٥.
(٢) القرطبي ١٥١/٨.
(٣) تاريخ دمشق لابن عساكر ١٧٩٠/٢]

راكبًا دابته؛ ليقاتل في سبيل اللَّه في ثغور المسلمين..[١]

وهذا زهير بن قمير المروزي يقول: أشتهيَ لحمًا من أربعين سنة ولا آكلها حتى أدخل الروم فآكله من مغانم الروم[٢]..

وهذا قاضي الكوفة عروة بن الجعد كان في بيته سبعون فرسًا مربوطةً للجهاد[٣]..

وهذا محمد بن واسع كان من العبَّاد المحدِّثين، الغزاة المرابطين؛ يقول عنه القائد قتيبة بن مسلم الباهلي: «لَإِصْبَعُ محمد بن واسع تشير إلى السماء في المعركة أحب إليَّ من مئة ألف سيف شهير وشاب طرير (قوي)»[٤]..

وهذا أحمد بن إسحاق السرماري يقول: «أعلم يقينًا أني قتلت بسيفي هذا ألف تركي، ولولا أن يكون بدعة لأمرت أن يدفن معي»[٥]..

وهذا أبو عبداللَّه بن قادوس؛ لكثرة قتله من نصارى الأندلس، كان النصراني إذا سقى فرسه فلم يقبل على الماء قال له: مالك، أرأيت ابن قادوس في الماء؟[٦]...

وهذا بدر بن عمار يقتل الأسد بسوطه، فيمدحه المتنبي:

أَمُعَفِّرَ اللَّيْثَ الْهِزَبْرَ بِسَوْطِهِ   لِمَنِ ادَّخَرْتَ الصَّارِمَ الْمَصْقُولَا

مُعَفِّر: ممرِّغ بالتراب. الْهِزَبْرُ: الأسد. الصَّارِمُ: السيف.

وهذا عمر المختار، يقول عنه غراسياني القائد الإيطالي: لقد خاص عمر المختار مع جنودنا (٢٦٣) معركة خلال عشرين شهرًا، أما مجموع معارك فقد بلغت

---

(١) عبداللَّه بن المبارك، د. المحتسب.

(٢) ترتيب المدارك للقاضي عياض ٣/٢٤٩.

(٣) تهذيب الأسماء واللغات ١/٣٣١.

(٤) المشوق في الجهاد ٦٦].

(٥) تهذيب التهذيب لابن حجر ١/١٤.

(٦) المشوق في الجهاد ٧٧ .

ألف معركة.

وهذا الشيخ محمد فرغلي، كان الإنجليز في الإسماعيلية يعلنون حالة الطوارئ في معسكراتهم إذا دخل الفرغلي المدينة، وقد دفع الإنجليز خمسة آلاف جنيه لمن يأتي برأسه حيًّا أو ميتًا.

وهذا يوسف طلعت، كان يُسمى جزار الإنجليز؛ لكثرة ما قتل منهم في قناة السويس؛ فأعدمهما عبدالناصر»[(١)].

٤ـ لقلة الرجال وندرة الفرسان:

عن عبدالله بن عمر ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ قال: قال رسول الله ﷺ «**إِنَّمَا النَّاسُ كَإِبِلٍ مِئَةٍ، لَا تَكَادُ تَجِدُ فِيهَا رَاحِلَةً**»[(٢)].

لقد آن أوان الرجال، وهذا مقام الفعال دون حال المقام.

فَدَعْ عَنْكَ نَهْبًا صَيحَ فِي حُجُرَاتِهِ ... وَلَكِنْ حَدِيثًا مَا حَدِيثُ الرَّوَاحِلِ[(٣)]

وأزمة العالم الإسلامي اليوم أزمة رجال يضطلعون بحمل المسئولية والقيام بأعباء الأمة.. فارس يحمل همَّ الإسلام بعد أن تخلى الفرسان.. نسر يعلو إلى الأعالي بعد أن سقط الجميع إلى الحضيض والقيعان.

ولله در القائل في هذا الفارس الذي لا يعرف العيش إلا حساما:

لِأَنَّكَ لَا تَعْرِفُ الْعَيْشَ إِلَّا حُسَامَا

---

(١) الحَقْ بالقافلةِ «للدكتور عبدالله عزام » ص (١٤ ـ ٢٢) دار ابن حزم.

(٢) رواه أحمد، والبخاري، ومسلم، والترمذي، وابن ماجه.

أي: أن الكامل في الزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة قليل؛ لقلة الراحلة في الإبل، والراحلة هي البعير القوي على الأسفار والأحمال النجيب التام الخلق الحسن المنظر، ويقع على الذكر والأنثى، والهاء فيه للمبالغة.

(٣) البيت لامرئ القيس، ومعناه الحرفي: اترك الحديث عن الحجرات التي نهبت أمتعتها، وحدثني عن قطيع الجمال القوي التي عليها مدار حياتنا. وهذا مثال يقال لمن يتحدث عن الأمور التافهة ويدع الأمور العظيمة.

وَلَا تَعْرِفُ الْمَوْتَ إِلَّا شَهَادَهْ
لِأَنَّكَ تَفْضَحُ فِينَا الْخِيَانَهْ..
لَا تَشْتَهِينَا وُجُوهٌ كَسَتْهَا الْبَلَادَهْ
سَيَقْرَؤُكَ الْقَادِمُونَ عَلَى كُلِّ لَحْظَهْ..
صِدْق...
وَيَرْسُمُكَ الطَّالِعُونَ خُطُوطَ إِرَادَهْ
لِأَنَّكَ تَعْرِفُ أَنَّ الْحُسَامَ الَّذِي..
يَسْتَكِينُ لِغَمْدٍ يَمُوتُ
وَأَنَّ السُّيُولَ الَّتِي لَيْسَ تَجْرِفُ..
كُلَّ الصُّخُورِ تَمُوتُ
وَأَنَّ الحِصَان الذي لا يخبُّ يموتْ
تحدَّيت هذا السكوتْ
تحدَّيْت هذا الهوانَ المقيتْ
وأعْلنتَ... والليل حولك يضربُ..
أطنابَهُ..
أن فجرك آتٍ،..
وصبحكَ يركض نحو بلاد،
يعشعشُ في قلبها العنكبوتْ
الضياءُ الذي في فؤادِك يَصْهلُ..

والليل ليلٌ مقيتْ

والأحبَّة - حين تذكرتهم -

أشعلوك انتصارًا لمجدك..

ها أنت ذا تستميتْ

والرياح التي حَوْل هذي القبور...

يصفرُ فيها المساءُ المُميت

والأسى في فوادي يرسمُ..

أنشودةً مُخرَسهْ

والنشيد الذي أرتجيه..

يسافرُ تحت ظلال السيوفِ..

ويطلع في الليلة الدامسهْ

وردة من ضياءٍ، وريحانةً هامسهْ

فلعل جهادك يفرح أجواءَنا العابسَهْ

ولعل الذين يبيعون وجهك

يا نسرنا

يدركون بأنك لن تتبدَّدْ

وستبقى مع الخالدين نشيدًا تجدَّدْ

«لك اللَّه يا دعوةَ الخالدين

لقد أوشك البغي أن يهمدَا

نشرنا دمانا الزكيَّة نورًا

يضيء الظلامَ، ويجلو الهدى»

❊ ❊ ❊

إنك أنت الوحيد الذي ما تبلَّدْ

فهل نفروا مثلما قد نفرتَ...؟

وهل سهدوا مثلما ـ أنت مُسْهَدْ؟

وهل عرفوا لغة السيف يأبى المذلَّة

يا سيفنا المشرئب الذي..

ليس يُغمد؟

وها أنت طاولت كل النجوم...

وها هم عبيدُ القرودِ..

وها هم وطاءٌ لكُلِّ مُشَرَّدْ

تساميتَ كالأقحوانِ..

وأُرهفتَ ... فالكلُّ جَلْمَدْ...

فهمْ كالحجارة... لا حسَّ فيها

ولكنكَ الآن نبعٌ تَوَلَّدْ

وما غير وجهك فينا ـ لواءٌ

وما غير صوتك فينا يُغَرِّدْ

فيا ويحَ من أسلموا وجههم

للخيانة ...، وارتكنوا للتجمُّدْ

ويا ويحَ ريح الخيانة...

حين تمرُّ على كل أرضٍ،

فتطفئ روح التمرُّدْ

ويا ويحهم أشعلوا في المدى

شعلةً من ضِرام، وأنشودة تتوقَّدْ

هو الليل... يا نسرنا،

حاصر المترفين بقاعاتِ..

هذا المساء المبدَّدْ

هو الليل... يا نسرنا،

أوغلتْ في القلوب نصال الخيانة...

والكل أرْمَدْ

وما عادَ يملؤنا غير خوفِ الذئابِ...

وزَهْو القرود...

وصمتُ التبلُّدْ

وما عاد فينا حسامٌ جرئٌ...

فما ثَمَّ غُرٌّ، ولا ثم خيلٌ...

ولا ثَمَّ سُؤدَدْ

وما عادَ إلا رُوَيْبضةٌ،

فوق كُرْسيِّهِ يُتقن الدَّوْرَ..

في ريبه يتردَّدْ

وما عاد وجه الأُلى ملئوا الأرض...

عدلا...

وصاروا على الشهب... عِزًّا

وكانت لهم ساحة الأرض...

مسجِدْ

وهل أنت إلا جوادٌ يخبُّ..

سيفٌ مجرَّدْ؟

وهل أنت إلا كتابٌ..

سيقرؤهُ القادمونَ حروفا تُغَرِّدْ؟

وهل أنت إلا الثباتُ الأَبيُّ...؟

وهل أنت إلا التجرُّدْ؟

وهل أنت إلا الزمانُ النقيُّ..

يخاطبنا عَبْرَ هذي الفيافي

فنشقى ونسعَدْ؟

ويدمغُ من يذبحون الرجولة فينا

ويدحضُ من يفقدون اليقين المؤَكَّدْ

❊ ❊ ❊

المساء المُلَبَّدْ

وصورة «مَدْريدَ» في صفحةِ الخزي

والكلُّ يَرْتَدْ

وأقنعةٌ فوق هذي الوجوهِ البليدةِ...

في قاعة العار تُعبَدْ

وأصوات خرسٍ يبيعوننا...

فوق هذي الموائد..

لا يحسبون حسابًا لطفل سيولَدْ

ويلعنهم حينَ يَرشَدْ

ويومًا سيرجمهم في قبور الخيانة

صَوتُ السنين المُنَدِّدْ

المساء الملبَّدْ

وهذا الغطيط الذي تستحمُّ..

الخرائط فيه...

وأكذوبةٌ تتردَّدْ

وريحٌ تفجَّرُ من داخل الصمتِ..

تعلو وتزبدْ

وتزحف من كل صوبٍ

وتطلع من كل مسجِدْ

«سئمنا الخيانةَ والخائنينا

سئمنا السنين الكذوبةَ...

تحمل هذا البقاءَ المهينا

سئمنا بلادًا على صدْرها

يجلس المجرمونا

سئمنا عيون الذئاب اللقيطة...

تغزو الجلودَ ... وتسمل منا العيونا

سئمنا سئمنا...

سئمنا المجونا

وهذي الكئوس التي خَدَّرتْنَا سنينَا

وهذي العباراتِ ما أرجعت أرضنَا

فاعتقونا

وما حررَّت قدسنا

أيها القاتلونا

سئمناكُمُ كالدُّمى

فوقَ هذي الخرائطِ وَجْهًا خئونا

سئمنا.. سئمنا

لأن الخرائط أضحَتْ سجونا»

***

المساء المُلبَّدْ
وصوتُك يا نسرنا
منذ حلَّ المساءُ...
وأوغل هذا الظلام المعربِدْ
وعادت خفافيشه ترصَّدْ
يسافر في زمرة القابضينَ...
على الجمر... والجَمْر مُوقَدْ
ووجهكَ... يا نسرنا راحةُ القلبِ...
في زمن أقفرتْ أرضُهُ...
من إمامٍ مُوَحِّدْ
فلا تبتئسْ،
إنَّ فينا من الذكِر آيًا
تصبِّرنا في التهجُّدْ
وفينا من القبس النبويِّ..
مشاعل ضوءٍ تبث اليقين.. بأرواحنا
في زمان الترَدُّدْ[1].

* * *

(١) قصيدة «لأنك لا تعرف العيش إلا حسامًا» من ديوان «الجواد المهاجر» لطاهر العَتَباني ص (٢١ - ٣٠) دار الوفاء.

٥ـ تبصير المؤمنين بغاية الجهاد وأهدافه

إن للجهاد غايات وأهدافًا جليلة كثيرة؛ منها:

ـ تعبيد الناس لله وحده، وإخراجهم من العبودية للعباد إلى العبودية لرب العباد، وإزالة الطواغيت كلها من الأرض جميعًا حتى تنتهي الفتنة الكبرى وهي الشرك ويكون الدين كله لله:

إن للجهاد حِكَمًا بالغةً وأهدافًا جليلةً؛ لأن الذي شرعه هو العليم الخبير، فما دام أن الآمِرَ به هو الحكيم فالحكمة والمصلحة ثابتة فيه قطعًا، وَتَلَمُّسُ حكمة الجهاد لا يتوقف القيام به على معرفتها عند المسلم الصادق؛ فإن مقتضى العبودية أن ينفذ العبد أمر سيده عرف حكمته أو لم يعرف، ولكن معرفة الحكمة تقوي العزائم، وتشحذ الهمم، وتيسر أمر التكاليف على المكلفين ونحو ذلك من الفوائد والمصالح، ولنرجع إلى ما أمرنا اللَّه بالرجوع إليه ـ الكتاب والسنة ـ نأخذ منهما أهداف الجهاد وغايته.

الهدف الرئيسي هو تعبيد الناس لله وحده، وإخراجهم من العبودية للعباد إلى العبودية لرب العباد، وإزالة الطواغيت كلها من الأرض جميعًا، وإخلاء العالم من الفساد؛ وذلك لأن خضوع البشر لبشر مثلهم وتقديم أنواع العبادة لهم من الدعاء والنذر والذبح والتعظيم والتشريع والتحاكم هو أساس فساد الأجيال المتعاقبة من لدن نوح عليه السلام إلى يومنا هذا، وهو انحراف بالفطرة السوية عما خلقها اللَّه عليه من التوحيد؛ كما قال ﷺ عن اللَّه قال: «**وإني خلقتُ عبادي حنفاء كلَّهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللتُ لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانًا...**» الحديث[١].

فهدف الجهاد الإسلامي الأكبر هو إرجاع البشر إلى الأصل وهو الملة الحنيفية

---

(١) صحيح مسلم مع النووي (١٧/١٩٨).

التي تخضعهم لرب العالمين، وتجعلهم يستمدون منه ـ سُبْحَانَهُ ـ منهج حياتهم الدنيا، ويعبدونه كما أمر، ولا يعبدون أحدًا غيره، وهذا الخضوع لله هو الذي يحقق لهم السعادة والفلاح في الدنيا والآخرة.

يقول سيد قطب ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ تحت عنوان «**منهج متفرد**»: «والآن يقول قائل: إذا كان الإسلام وهو منهج اللَّه للحياة البشرية لا يتحقق في الأرض وفي دنيا الناس إلا بالجهد البشري، وفي حدود الطاقة البشرية، وفي حدود الواقع المادي للحياة الإنسانية في البيئات المختلفة، فما ميزته إذن على المناهج البشرية التي يضعها البشر لأنفسهم، ويبلغون منها ما يبلغه جهدهم في حدود طاقتهم وواقعهم؟! ولماذا يجب أن نحاول تحقيق ذلك المنهج، وهو يحتاج إلى الجهد البشري ككل منهج، فلا يتحقق منه شيء بمعجزة خارقة ولا بقهر إلهي ملزم، وهو يتحقق في حياة الناس في حدود فطرتهم البشرية وطاقتهم العادية وأحوالهم الواقعية، ونحن ملزمون بمحاولة تحقيق ذلك المنهج ابتداء؛ لنحقق لأنفسنا صفة الإسلام؛ فركن الإسلام الأول: أن تشهد أن لا إله إلا اللَّه وأن محمدًا رسول الله، وشهادة «**أن لا إله إلا الله**» معناها القريب: إفراد اللَّه ـ سبحانه ـ بالألوهية وعدم إشراك أحد من خلقه معه في خاصية واحدة من خصائصها، وأولى خصائص الألوهية حق الحاكمية المطلقة الذي ينشأ عنه حق التشريع للعباد، وحق وضع المناهج لحياتهم، وحق وضع القيم التي تقوم عليها هذه الحياة؛ فشهادة «**أن لا إله إلا الله**» لا تقوم ولا تتحقق إلا بالاعتراف بأن لله وحده حقَّ وضعِ المنهج الذي تجري عليه الحياة البشرية، وإلا بمحاولة تحقيق ذلك المنهج لأسباب تتعلق بالمنهج ذاته فهو وحده المنهج الذي يحقق كرامة الإنسان، ويمنحه الحرية الحقيقية، ويطلقه من العبودية، هو وحده الذي يحقق له التحرر الكامل الشامل المطلق في حدود إنسانيته وعبوديته لله؛ التحرر من العبودية للناس بالعبودية لله رب الناس، وما من منهج آخر في الأرض يحقق هذه الخاصية إلا الإسلام.. ونحن ملزمون بمحاولة تحقيق ذلك المنهج، لأنه وحده المنهج المبرأ من

نتائج الجهل الإنساني والقصور الإنساني براءته من نتائج الضعف البشري؛ فواضعه هو خالقُ هذا الكائن الإنساني العليمُ بما يصلحه ويصلح له، وهو المطلع على خفايا تكوينه وتركيبه وخفايا الملابسات الأرضية والكونية كلها في مدى الحياة البشرية كذلك»[1].

والأدلةُ على أن هدف الجهاد الأكبر «تعبيد الناس لله وحده، وإخراجهم من العبودية للعباد، وإزالة الطواغيت كلها من الأرض، وإخلاء العالم من الفساد» كثيرةٌ جدًّا.

يقول اللَّه عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩٣﴾﴾ [البقرة: ١٩٣].

ويقول ـ تَعَالَى ـ: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ۚ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ [الأنفال: ٣٩].

قال ابن كثير: «ثم أمر ـ تَعَالَى ـ بقتال الكفار؛ ﴿حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾؛ أي: شرك، قاله ابن عباس وأبو العالية ومجاهد والحسن وقتادة والربيع ومقاتل بن حيان والسُّدِّيُّ وزيد بن أسلم، ﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ﴾؛ أي: يكون دين اللَّه هو الظاهر على سائر الأديان»[2].

وقال ابن الجوزي: «﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ﴾ قال ابن عباس: أي يخلص له التوحيد»[3].

وقال ابن جرير الطبري: «فقاتلوهم حتى لا يكون شرك ولا يعبد إلا اللَّه وحده لا شريك له؛ فيرتفع البلاء عن عباد اللَّه من الأرض وهو الفتنة، ويكون الدين كله

---

(١) هذا الدين، لسيد قطب ص (١٥ ـ ٢٠).
(٢) ابن كثير (١: ٣٢٩).
(٣) زاد المسير (١: ٢٠٠).

لله، وحتى تكون الطاعة والعبادة كلها لله خالصة دون غيره»[1].

وقال الشوكاني: «﴿وَقَـٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ فيه الأمر بمقاتلة المشركين إلى غاية هي ألا تكون فتنة وأن يكون الدين لله وهو الدخول في الإسلام والخروج عن سائر الأديان المخالفة له، فمن دخل في الإسلام وأقلع عن الشرك لم يَحِلَّ قتاله»[2].

ويقول الرسول ﷺ: «**من قاتل لتكون كلمة اللَّه هي العليا فهو في سبيل الله**»[3].

ويقول ﷺ: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا اللَّه وأن محمدًا رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله**»[4].

ويقول ﷺ: «**بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يعبد اللَّه ـ تَعَالَى ـ وحده لا شريك له، وجعل رزقي تحت ظل رمحي، وجعل الذل والصغار على من خالف أمري**»[5].

وقد كان هذا الهدف العظيم للجهاد حاضرًا في حس الصحابة ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ـ أثناء معاركهم مع أعداء الله؛ ففي صحيح البخاري عن جبير بن حية قال: «فندبنا عمر، واستعمل علينا النعمان بن مُقَرِّنٍ حتى إذا كنا بأرض العدو خرج علينا عامل كسرى في أربعين ألفًا، فقام ترجمان فقال: ليكلمني رجل منكم. فقال المغيرة: سل عما شئت. قال: ما أنتم؟ قال: نحن أناس من العرب كنا في شقاء شديد وبلاء شديد، نمص الجلد والنوى من الجوع، ونلبس الوبر والشعر، ونعبد

(١) تفسير الطبري (١٣/٥٣٧).
(٢) فتح القدير، للشوكاني (١: ١٩١).
(٣) صحيح مسلم بشرح النووي (١٣: ٤٩).
(٤) صحيح البخاري مع الفتح (١: ٧٢).
(٥) مجمع الزوائد (٦: ٤٩) وقال: رواه أحمد وفيه عبدالرحمن بن ثابت وثقه المديني وغيره، وضعفه أحمد وغيره، وبقية رجاله ثقات. وَصَحَّحَهُ الألباني.

الشجر والحجر، فبينا نحن كذلك إذ بعث رب السموات ورب الأَرَضِينَ ـ تَعَالَى ذِكْرُهُ وَجَلَّتْ عَظَمَتُهُ ـ إلينا نبيًّا من أنفسنا نعرف أباه وأمه، فأمرنا نبينا رسول ربنا ﷺ أن نقاتلكم حتى تعبدوا اللَّه وحده أو تؤدوا الجزية، وأخبرنا نبينا ﷺ عن رسالة ربنا أنه من قُتِلَ منا صار إلى الجنة في نعيم لم ير مثلها قط ومن بقي منا ملك رقابكم»[1].

وذكر ابن كثير قصة ربعي بن عامر رضي الله عنه لما بعثه سعد بن أبي وقاص إلى رستم وفيها: «... فدخل عليه وقد زينوا مجلسه بالنمارق المذهبة والزرابي والحرير، وأظهر اليواقيت واللآلئ الثمينة والزينة العظيمة، وعليه تاجه وغير ذلك من الأمتعة الثمينة، وقد جلس على سرير من ذهب، ودخل ربعي بثياب صفيقة وسيف وترس وفرس قصيرة، ولم يزل راكبها حتى داس بها على طرف البساط، ثم نزل وربطها ببعض تلك الوسائد، وأقبل وعليه سلاحه ودرعه وبيضته على رأسه، فقالوا له: ضع سلاحك. فقال: إني لم آتكم وإنما جئتكم حين دعوتموني فإن تركتموني هكذا وإلَّا رجعت. فقال رستم: ائذنوا له. فأقبل يتوكأ على رمحه فوق النمارق؛ فخرق عامتها، فقالوا له: ما جاء بكم؟ فقال: اللَّه ابتعثنا؛ لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، فأرسلنا بدينه إلى خلقه؛ لندعوهم إليه فمن قَبِلَ ذلك قبلنا منه ورجعنا عنه، ومن أَبَى قاتلناه أبدًا حتى نفضي إلى موعود الله. قالوا: وما موعود الله؟ قال الجنة لمن مات على قتال من أَبَى والظفر لمن بقي...»[2].

وهذا الهدفُ السامي المتضمن لإعلاء كلمة اللَّه ـ وهي الإسلام ـ، وإقامة سلطان اللَّه في الأرض، وَجَعْل كلمة الذين كفروا السفلى، وإخلاء العالم من الفساد الأكبر الذي هو الشرك وما ينتج عنه، وإزالة الطواغيت الذين يحولون بين

(١) صحيح البخاري مع الفتح (٦: ١٩٠).
(٢) البداية، لابن كثير (٧: ٣٩).

الناس وبين الإسلام ويعبدونهم لغير اللَّه ـ موضعُ اتفاقٍ بين علماء الإسلام، وهاهي ثلة من أقوالهم.

يقول الشافعي: «فَدَلَّ كتاب اللَّه وسنة نبيه ﷺ أن فرض الجهاد إنما هو على أن يقوم به مَن فيه كفاية للقيام به حتى يجتمع أمران:

أحدهما: أن يكون بإزاء العدو المخوف على المسلمين مَن يمنعه.

والآخر: أن يجاهد من المسلمين مَنْ في جهاده كفايةٌ حتى يُسْلِمَ أهل الأوثان أو يعطي أهل الكتاب الجزية»[١].

ويقول محمد بن الحسن: «فرضية القتال المقصود منها إعزاز الدين وقهر المشركين»[٢].

ويقول ابن القيم: «والمقصود من الجهاد إنما هو أن تكون كلمة اللَّه هي العليا ويكون الدين كله لله... فإن من كون الدين كله لله إذلال الكفر وأهله وصغاره وضرب الجزية على رءوس أهله والرق على رقابهم فهذا من دين اللَّه ولا يناقض هذا إلا ترك الكفار على عزهم وإقامة دينهم كما يحبون بحيث تكون لهم الشوكة والكلمة»[٣].

ويقول ابن عبدالبر المالكي: «يقاتل جميع أهل الكفر من أهل الكتاب وغيرهم من القبط والترك والحبشة والفزارية والصقالبة والبربر والمجوس وسائر الكفار من العرب والعجم، يقاتلون حتى يسلموا أو يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون»[٤].

«ويقول سيد قطب: «إن بواعث الجهاد في الإسلام ينبغي تلمسها في طبيعة الإسلام ذاته ودوره في هذه الأرض وأهدافه العليا التي قررها اللَّه وذكر اللَّه أنه

---

(١) الأم، للشافعي (٤: ١٦٧).

(٢) السير الكبير، للشيباني (١: ١٨٨).

(٣) أحكام أهل الذمة، لابن القيم (١: ١٨).

(٤) من كتاب الكافي في فقه أهل المدينة المالكي، للحافظ ابن عبدالبر ص (٤٦٦).

أرسل من أجلها هذا الرسول بهذه الرسالة وجعله خاتم النبيين وجعلها خاتمة الرسالات، إن هذا الدين إعلان عام لتحرير الإنسان في الأرض من العبودية للعباد ـ ومن العبودية لهواه أيضًا وهي من العبودية للعباد ـ وذلك بإعلان ألوهية اللَّه وحده ـ سبحانه ـ وربوبيته للعالمين، إن إعلان ربوبية اللَّه وحده للعالمين معناها الثورة الشاملة على حاكمية البشر في كل صورها وأشكالها وأنظمتها وأوضاعها والتمرد الكامل على كل وضع في أرجاء الأرض الحكم فيه للبشر بصورة من الصور أو بتعبير آخر مرادف الألوهية فيه للبشر في صورة من الصور، ذلك أن الحكم الذي مرد الأمر فيه إلى البشر ومصدر السلطات فيه هم البشر هو تأليه للبشر يجعل بعضهم لبعض أربابًا من دون الله، إن هذا الإعلان معناه انتزاع سلطان اللَّه المغتصب ورده إلى اللَّه وطرد المغتصبين له الذين يحكمون الناس بشرائع من عند أنفسهم فيقومون منهم مقام الأرباب ويقوم الناس منهم مقام العبيد، إن معناه تحطيم مملكة البشر؛ لإقامة مملكة لله في الأرض أو بالتعبير القرآني الكريم: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾، ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ ذلك الدين القيم، ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾.

ومملكة اللَّه في الأرض لا تقوم بأن يتولى الحاكمية في الأرض رجال بأعيانهم هم رجال الدين كما كان الأمر في سلطان الكنيسة ولا رجال ينطقون باسم الآلهة كما كان الحال في ما يعرف باسم «الثيوقراطية» أو الحكم الإلهي المقدس، ولكنها تقوم بأن تكون شريعة اللَّه هي الحاكمة وأن يكون مرد الأمر إلى اللَّه وفق ما قرره من شريعة مبينة، وقيام مملكة اللَّه في الأرض وإزالة مملكة البشر وانتزاع السلطان من أيدي مغتصبيه من العباد ورده إلى اللَّه وحده وسيادة الشريعة الإلهية وحدها وإلغاء القوانين البشرية كل أولئك لا يتم بمجرد التبليغ والبيان؛ لأن المتسلطين على رقاب

العباد المغتصبين لسلطان اللَّه في الأرض لا يسلمون في سلطانهم بمجرد التبليغ والبيان وإلا فما كان أيسر عمل الرسل في إقرار دين اللَّه في الأرض وهذا عكس ما عرفه تاريخ الرسل ـ صلوات اللَّه وسلامه عليهم ـ، وتاريخ هذا الدين على ممر الأجيال، إن هذا الإعلان العام لتحرير الإنسان في الأرض من كل سلطان غير سلطان اللَّه بإعلان ألوهية اللَّه وحده وربوبيته للعالمين لم يكن إعلانًا نظريًّا فلسفيًّا سلبيًّا؛ إنما كان إعلانًا حركيًّا واقعيًّا إيجابيًّا، إعلانًا يراد له التحقيق العملي في صورة نظام يحكم البشر بشريعة اللَّه ويخرجهم بالفعل من العبودية للعباد إلى العبودية لله وحده بلا شريك؛ ومن ثَمَّ لم يكن بد من أن يتخذ شكل الحركة إلى جانب شكل البيان؛ ذلك ليواجه الواقع البشري بكل جوانبه بوسائل مكافئة لكل جوانبه والواقع الإنساني أمس واليوم وغدًا يواجه هذا الدين بوصفه إعلانًا عامًّا لتحرير الإنسان في الأرض من كل سلطان غير سلطان اللَّه بعقبات اعتقادية تصورية، وعقبات مادية واقعية، وعقبات سياسية واجتماعية واقتصادية وعنصرية وطبقية إلى جانب عقبات العقائد المنحرفة والتصورات الباطلة، وتختلط هذه بتلك وتتفاعل معها بصورة معقدة شديدة التعقيد، وإذا كان البيان يواجه العقائد والتصورات فإن الحركة تواجه العقبات المادية الأخرى وفي مقدمتها السلطان السياسي القائم على العوامل الاعتقادية التصورية والعنصرية والطبقية والاجتماعية والاقتصادية المعقدة المتشابكة، وهما معًا ـ البيان والحركة ـ يواجهان الواقع البشري بجملته بوسائل مكافئة لكل مكوناته وهما معًا لا بد منهما لانطلاق حركة التحرير للإنسان في الأرض، الإنسان كله في الأرض كلها، وهذه نقطة مهمة لا بد من تقريرها مرة أخرى.

إن هذا الدين ليس إعلانًا لتحرير الإنسان العربي وليس رسالة خاصة بالعرب، إن موضوعه هو الإنسان نوع الإنسان، ومجاله هو الأرض كل الأرض، إن اللَّه ـ سبحانه ـ ليس ربًّا للعرب وحدهم ولا حتى لمن يعتنقون العقيدة الإسلامية

وحدهم، إن اللَّه هو رب العالمين وهذا الدين يريد أن يرد العالمين إلى ربهم وأن ينتزعهم من العبودية لغيره، والعبودية الكبرى في نظر الإسلام هي خضوع البشر لأحكام يشرعها لهم ناس من البشر وهذه هي العبادة التي يقرر أنها لا تكون إلا لله وأن من يتوجه بها لغير اللَّه يخرج من دين اللَّه مهما ادعى أنه في هذا الدين، ولقد نص رسول اللَّه ﷺ على أن الاتباع في الشريعة والحكم هو العبادة التي صار بها اليهود والنصارى مشركين مخالفين لِمَا أُمِرُوا به من عبادة اللَّه وحده؛ أخرج الترمذي بإسناده عن عدي بن حاتم ﵁ أنه لما بلغته دعوة رسول اللَّه ﷺ فَرَّ إلى الشام، وكان قد تنصر في الجاهلية، فأسرت أخته وجماعة من قومه ثم مَنَّ رسول اللَّه ﷺ على أخته وأعطاها فرجعت إلى أخيها فرغبته في الإسلام وفي القدوم على رسول اللَّه ﷺ، فتحدث الناس بقدومه، فدخل على رسول اللَّه ﷺ وفي عنقه - أي عدي - صليب من فضة وهو - أي النبي ﷺ - يقرأ هذه الآية: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ قال: فقلت: إنهم لم يعبدوهم. فقال: بلى، إنهم حرموا عليهم الحلال، وأحلوا لهم الحرام فاتبعوهم، فذلك عبادتهم إياهم.

وتفسير رسول اللَّه ﷺ لقول اللَّه - سبحانه - نص قاطع على أن الاتباع في الشريعة والحكم هو العبادة التي تخرج من الدين وأنها هي اتخاذ بعض الناس أربابًا لبعض، الأمر الذي جاء هذا الدين ليلغيه ويعلن تحرير الإنسان في الأرض من العبودية لغير الله؛ ومن ثَمَّ لم يكن بد للإسلام أن ينطلق في الأرض؛ لإزالة الواقع المخالف لذلك الإعلان بالبيان وبالحركة مجتمعين، وأن يوجه الضربات للقوى السياسية التي تُعَبِّد الناس لغير الله؛ أي تحكمهم بغير شريعة اللَّه وسلطانه والتي تحول بينهم وبين الاستماع إلى البيان واعتناق العقيدة بحرية لا يتعرض لها السلطان، ثم لكي يقيم نظامًا اجتماعيًا واقتصاديًا وسياسيًا يسمح لحركة التحرر بالانطلاق الفعلي بعد إزالة القوة المسيطرة سواء كانت سياسية بحتة أو متلبسة

بالعنصرية أو الطبقية داخل العنصر الواحد»[١]. اهـ[٢].

وكانت دعوة الإسلام إلى التوحيد دعوة أيضًا إلى قطع دابر الذين تسنموا ذروة الألوهية واستعبدوا الناس ﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾

٦- رد اعتداء المعتدين على المسلمين:

قال - تعالى -: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (١٩٠)﴾ [البقرة: ١٩٠].

وقال - تعالى -: ﴿أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (١٣)﴾ [التوبة: ١٣].

وقال ﷺ فيما يرويه عن ربه أنه قال: «**إنما بعثتك؛ لأبتليك وأبتلي بك، وأنزلت عليك كتابًا لا يغسله الماء تقرؤه نائمًا ويقظان، وإن الله أمرني أن أُحرِّق قريشًا؛ فقلت: رَبِّ إِذًا يَثْلَغُوا[٣] رأسي فيدعوه خبزة. قال: استخرجهم كما استخرجوك، واغزهم نُغْزِكَ، وأنفق فسننفق عليك، وابعث جيشًا نبعث خمسةً مثلَهُ، وقاتل بمن أطاعك مَنْ عصاك...**» الحديث[٤].

وقد تقدم معنا أن علماء الإسلام أجمعوا على أن رد اعتداء الكفار عن المسلمين فرض عين على كل قادر.

ومن ذلك ما فعله الناصر صلاح الدين ومن قبله القسيم بن القسيم نور الدين

---

(١) في ظلال القرآن (٣/١٤٣٣ - ١٤٣٥)، **وانظر**: أيضًا: كلام أبي الأعلى المودودي الذي نقله سيد قطب في الظلال (٣/١٤٤٨ - ١٤٥١).

(٢) أهمية الجهاد في نشر الدعوة الإسلامية، للدكتور علي بن نفيع العلياني ص (١٥٨ - ١٦٦)، دار طيبة.

(٣) يثلغ: يكسر ويشدخ.

(٤) صحيح مسلم مع شرح النووي (١٧/١٩٨).

محمود زنكي من رد اعتداء الإفرنج الصليبيين على ديار المسلمين وأخذهم للمسجد الأقصى وقتلهم لآلاف من المسلمين في القدس حتى غاص قائد الصليبيين في دماء المسلمين إلى ركبتيه، وبعد عشرات من السنين في إذلال المسلمين وقهرهم كان استرداد بيت المقدس على يد البطل صلاح الدين الأيوبي.

ولما خرج الأذفونس واعتدى على بلاد المسلمين في الأندلس بجيش عدته مئة ألف من المشاة وثمانين ألفًا من الفرسان تصدى لهم يوسف بن تاشفين والمعتمد بن عباد في سهل الزلاقة وكان النصر العظيم للمسلمين.

وقبل هذا كله نجدة المعتصم لامرأة مسلمة لما صاحت ونادت في بلاد الروم: «**وامعتصماه**»!!.

رُبَّ وامعتصماهُ انطلقتْ مِلْءَ أفواه الصبايا اليُتَّمِ
صادفت أسماعنا لكنها لم تصادف نخوة المعتصم

في سنة (٢٢٣ هـ) أوقع ملك الروم توفيل بن ميخائيل بأهل ملطية وما وَالاَهَا ملحمة عظيمة، قتل فيها خلقًا كثيرًا من المسلمين، وأسر ما لا يحصون كثرة، وَمَثَّلَ بمن وقع في أسره من المسلمين، فقطع أنوفهم وآذانهم وسمل أعينهم، قَبَّحَهُ الله، وكان جملة مَن أسر ألف امرأة من المسلمات.

فلما سمع بذلك المعتصم انزعج لذلك جدًّا وصرخ في قصره بالنفير، ثم نهض من فوره، وأمر بتعبئة الجيوش، واستدعى القاضي والشهود، فأشهدهم أن ما يملكه من الضياع: ثلثه صدقة، وثلثه لولده، وثلثه لمواليه، وقال للأمراء: أي بلاد الروم أمنع؟ قالوا: عمورية، لم يعرض لها أحد مذ كان الإسلام، وهي أشرف عندهم من القسطنطينية، فاستدعى الجيوش وسار إلى عمورية في جحافل أمثال الجبال، فأنكاهم نكاية عظيمة، لم يُسمع بمثلها لخليفة، وقتل منهم ثلاثين ألفًا وسبى مثلهم.

أما سمعتَ بأرض الرومَ مسلمةً تشكو «لمعتصم» ظُلْمَ المغيرينا

فتسبق الخيلُ أصوات استغاثتها ... وتملأ الكون صيحاتُ الْمُلَبِّينا
وتصرخ اليوم آلافٌ مُؤَلَّفَةٌ ... فهل سمعتَ سوى أحزانِ باكينا
ونحن نسمعُ أصوات استغاثتها ... وليس نُسْمِعُهَا إلا أغانينا
«خضر مرابِعُنَا بيضٌ صنائِعُنَا ... سودٌ وقائعنا حُمْرٌ مواضينا»
ويسبَحُ الطُّهْرُ ـ طُهْرُ البِكْرِ ـ في دمه ... ونحن نسبح في أحلام ماضينا

لولا تعطيل المسلمين لهذا الركن ما اسْتُبِيحَتْ أغلى أوطانهم ومقدساتهم، ولما أخذ المغضوب عليهم من شراذم اليهود فلسطين وانتزعوها من أيدي المسلمين، ولما اعتدوا على بلاد المسلمين في البوسنة والهرسك وألبانيا وفعلوا بهم الأفاعيل، والمقابر الجماعية التي تضم المئات والآلاف خير شاهد على ذلك.

وهل كان يظن أحد أن عاصمة الرشيد بغداد تسقط؛ بسبب هذا العلماني سفاك الدماء تلميذ مشيل عفلق صدام حسين الذي أذل شعبه وضرب المسلمين من الأكراد بالقنابل المحرمة دوليًّا، واعتدى على جيرانه من الكويتيين ثم تسقط بغداد درة بلاد المسلمين.

إن ما فعله الصليبيون في معركة «عاصفة الصحراء» أو «المجد للغذراء»، وما فعلوه عند دخولهم العراق وبعد احتلالهم له تشيب منه النواصي والولدان: من اغتصاب للنساء، وقتل للأطفال ـ بعد قتلهم قبل ذلك بالتجويع ـ وهدم المساجد، وانتهاك حرمتها، وإدخالهم الألوف من المنصرين، واستيلائهم على ثروات العراق ونفطه.. إن هذا كله لم يحدث إلا بعد أن ضاعت هوية العراق الإسلامية لتصبح علمانية بعثية محاربة لله ولرسوله، أذلت المسلمين أكبر من ذل الأمريكان لهم.ز فهل من عودة والعود أحمد.. حتى نقول بصدق « بغداد عودي».

* * *

بغداد عودي

بغدادُ خَارَتْ[١] فحزنُ العُمرِ أَحزانُ والعينُ نهرُ الدِّما والهمُّ شُطآنُ
والنَّارُ تكوي الحنايا فالطَّوى سُعُرٌ[٢] تجتاحُ قلبي فبردُ القلبِ نيرانُ
والعارُ يَخْفِضُ هام العزِّ في صَلَفٍ[٣] حتَّى كَأَنَّ رُءوسَ العُرْبِ عُبْدانُ
في كُلِّ آنٍ[٤] لنا بَيْتٌ نُشَيِّعُهُ بينَ الدُّموعِ وتتلو البيتَ أَوْطَانُ
ولَيْسَ يَبْرا[٥] لنا جُرْحٌ نُضَمِّدُهُ إلَّا وَيَنْكأُ[٦] جُرْحَ القَلْبِ بُركانُ
ولَيْسَ يَرْقَأُ[٧] دَمْعٌ في مَدَامِعِنَا إلَّا ويَنْزِفُ في الأَحْشاءِ طُوفَانُ
نَبيتُ والقُدسُ تبكي في جَوانِحِنا[٨] فَتُرْسِلُ الآهَ عبرَ القَلْبِ شِيشَانُ
وتُسْفِرُ[٩] الشَّمسُ في كَشميرَ مُظْلِمَةً إثْرَ الدَّواهِي وتُورِي[١٠] القَلبَ لُبْنَانُ
وكَمْ نَغِيبُ عن الدنيا فَتَحْسَبُنَا صَرْعى يُخَبِّطَ في ألبابِنَا[١١] الجَانُ
وكَمْ يطِيشُ لنا لُبٌّ ولا مَرَضٌ لكنما الداءُ بَغدادٌ وسُودَانُ

❑ بغدادُ سِحْرُ الدُّنَا

إنِّي لأبكي وما أبكيكِ فاتنةً تَسْبي العُيونَ بها للحُسْنِ أَلْوَانُ

---

(١) خارت: خار الرجل: ضعف وانكسر.
(٢) سُعُر: جمع سعير: النار أو لهب النار.
(٣) صَلف: كِبْر، وثقل روح.
(٤) آن: الآن: ظرف للوقت الحاضر، والمراد: في كل وقت.
(٥) يبرا: يبرأ، برئ المريض بُرْءًا: شفي وتخلص مما به.
(٦) ينكأ: نكأ الجرح نَكْئًا: أعاد فتحه قبل اكتمال شفائه.
(٧) يرقأ: رقأ الدمع رَقْئًا: سكن وجفَّ وانقطع بعد جريانه.
(٨) جوانحنا: الجوانح: جمع الجانحة؛ وهي: الضلع القصيرة مما يلي الصدر.
(٩) تسفر: سفر سُفُورًا: وضح وانكشف وأضاء وأشرق.
(١٠) توري: أورى النار: أوقدها.
(١١) ألبابنا: الألباب: جمع اللبِّ؛ وهو: العقل.

ونَهْرُ دِجْلَةَ يجري بينَ أَضْلُعِهَا شهدًا سَكُوبًا فَزَهْرُ الرَّوْضِ ثَمْلَانُ
إذ غَازَلَتْهُ الصَّبا[1] فَجْرًا فَلاطَفَهَا وَرَفَّ بَيْنَ النَّدى وَرْدٌ ورَيْحَانُ
وَبَانَ[2] سِرُّ الهوى عِطرًا وهَفْهَفةً رَغْمَ الحَياءِ وهَل للشَّوقِ كتمانُ؟!

❑ بغدادُ عِطر الدُّنَا

إنِّي لأبكي ولا أَبْكي لعابقَةٍ قَرَّ الزَّمانُ بها مُذْ كَانَ أَزْمَانُ
إذْ كُلُّ رُكْنٍ لَدَى «الكَرْخِيِّ»[3] راويةٌ ثكلى تُحَدِّثُ عَنْ أَمْجادِ مَنْ كَانُوا
حتَّى تَخالَ شُخوصَ القَوْمِ حاضِرةً فوقَ العُروشِ وتَعْلُوهُنَّ تِيجانُ

❑ بغدادُ صَرْحَ[4] الدُّنَا

إنِّي لأبكي وما أبكيكِ شاهقةً قَصْرًا مَشِيدًا لَهُ صَرْحٌ وإيوانُ[5]
إذ الرَّصَافَةُ[6] في عَيْنيكِ سَامِقَةٌ رَفَّ العبيرُ بها وازْدَانَ مَيدَانُ
والأعظميةُ[7] طرحُ النهر فَاتِنَةٌ بها القصورُ تُداعِبُهُنَّ أفْنَانُ
بغدادُ يَبْكِيكِ دَمْعُ الْقَلْبِ مسْلِمَةً قَدْ سَامَهَا[8] الذُّلَّ دُونَ الخلقِ صِبْيَانُ
أبكي فَتاةً كَطُهْرِ الثَّلْجِ بَاكِيةً قَدْ غَالَ[9] عِفَّتَهَا كَلْبٌ وذُؤْبَانُ

(١) الصَّبا: ريح مهبها من مشرق الشمس إذا استوى الليل والنهار.
(٢) بان: بان الشيء بيانًا: ظهر واتضح.
(٣) الكرخيُّ: الاسم الدارج لـ«الكرخ»، وهو أحد شطري بغداد، والذي يمثل الجزء القديم منها.
(٤) صرح: الصرح: القصر العالي أو البناء العالي الذاهب في السماء.
(٥) إيوان: الإوان والإيوان: مجلس كبير على هيئة صُفَّة واسعة، لها سقف محمول من الأمام على عقد، يجلس فيه كبار القوم.
(٦) الرصافة: شطر بغداد الجديد.
(٧) الأعظمية: أرقى أحياء الرصافة.
(٨) سامها: سام الشيء سَوْمًا وسَوَامًا: لزمه ولم يبرح عنه.
(٩) غال: غال فلانًا غولًا: أخذه من حيث لا يدري فأهلكه.

أبكي الصِّغارَ ولا ماءٌ ولا شَجرٌ[١] خَلْفَ الخِيامِ ولا دِفْءٌ وَتَحْنَانُ[٢]
والبردُ يَنْهَسُ[٣] في أحْشَائِهِمْ نَهِمًا[٤] وَهَلْ تَقِي البردَ أَسْمَالٌ[٥] وأَغْصَانُ؟!
يَا طَالَمَا قَرَّحَتْ قَلْبِي مَدَامِعُهُمْ وَقَدْ تَقَافَزَ بينَ يَدَيَّ وِلْدَانُ
أبْكي الرِّجَالَ وذُلُّ العَارِ يَدْمَغُنَا[٦] أَنْ تَسْتَذِلَّ أُنُوفَ الصِّيدِ[٧] نِسْوَانُ!!
دَارَ الرَّشِيدِ وَقَدْ أَصْبَحْتِ أُحْجِيَةً[٨] حَارَ الأَرِيبُ[٩] بِهَا فَالصَّمْتُ تِبْيَانُ
نَقْفُورُ[١٠] عَادَ وَلَا هَارُونُ يُلْجِمُهُ نَارًا فَيَجْثُو[١١] وَمِلْءُ القَلْبِ إِذْعَانُ
نَقْفُورُ عَادَ وَتِلْكَ العُرْبُ قَدْ بَسطَتْ لَهُ الرُءوسَ وكَيفَ تَثُورُ جِرْذَانُ[١٢]؟!
وَيْحَ الأكَابِرَ مِنْ قومِي تَجَاذَبَهم عَنِ السَّبِيلِ أَباطِيلُ وأَوْثَانُ!!
فَمَشْرِقيٌّ رَأى لِينِينَ بُغْيَتَه فَالكُفْرُ لُبٌّ لَهُ والدِّينُ عُنوانُ
تَغْدو الْبِلَادُ عَلى كَفَّيهِ مَقْبرةً وَمَنْ سَينْجُو فَمسْجُونٌ وسَجَّانُ
يَقْعَى[١٣] هُنَاكَ وَجوفُ الأَرض يَلْفُظُهُ والأَرْضُ رُوحٌ لَهُ حِسٌّ وتِبْيَانُ
أَوْ «مَغْرِبِيٌّ» هَوَى في الغَربِ «لَوْثَتَهُ» خَلْفَ السُّتُورِ له في الغَربِ أَخْدَانُ[١٤]

---

(١) لا ماءٌ ولا شجر؛ أي: لا طعام ولا شراب.
(٢) تحنان: حنان.
(٣) ينهس: نهس اللحم نهسًا: أخذه بمقدم أسنانه ونتفه للأكل. نَهَشَ الشيء نهشًا: تناوله بفمه ليعضه.
(٤) نَهِمًا: نَهِم في الشيء نَهَمًا: أفرط الشهوة أو الرغبة فيه.
(٥) أسمال: جمع سَمَل؛ وهو: الثواب الْخَلِقُ البالي.
(٦) يدمغنا: دمغ فلانًا دمغًا: شجه حتى بلغت الشجة دماغه، أخرج دماغه، محاه.
(٧) الصِّيد: جمع الأَصْيَد؛ وهو: كل ذي حول وطول من ذوي السلطان.
(٨) أحجية: لغز يتبارى الناس في حله.
(٩) الأريب: العاقل الداهية.
(١٠) نقفور: ملك من ملوك الروم، ذو واقعة شهيرة مع هارون الرشيد.
(١١) يجثو: جلس على ركبتيه، أو قام على أطراف أصابعه.
(١٢) جرذان: جمع جِرذ: ضَرب من الفأر.
(١٣) يقعى: أقعى الكلب: جلس على استه مفترشًا رجليه وناصبًا يديه.
(١٤) أخدان: جمع خِدْن؛ وهو: الصاحب في السر وأكثر ما يقال في الفاحشة.

يَهوى «الحضَارَة» عِند الغَربِ رَاقيةً ... وَاخَجْلتَاهُ وَهَلْ للعِهرِ[1] أَوْزَانُ؟!!
أَوْ «يعْرُبيٌّ» رأى الأعْرَابَ تمْنَعُهُ ... إنْ غَارَ سَيلُ العِدَا أَو عَمَّ طُوفَانُ
تُرَى تَنَاسَى حَدِيثًا كَانَ أذْهَلَنَا ... عَمَّا جَنَتْ سَالِفًا عَبْسٌ وَذُبْيَانُ
أَمْ قَدْ تَنَاسَى عِظَاتِ الدَّهْرِ صَادِقَةً ... كَيفَ اسْتَبَاحَ الحِمَى رُومٌ وَغَسَّانُ؟!
وآخرُ «موطِنيٌّ» هَمُّهُ وَطَنٌ ... فليسَ دِينٌ ولا قُرْبى وإخوانُ
وكيفَ تَنْهَضُ أشلاءٌ مُبعثَرَةٌ ... وقد تهاوَتْ لدى الأَدْوَاءِ[2] أبدانُ؟!!
كم ضَلَّلُونَا بأسماءٍ مُرَقَّشَةٍ ... رَقْشَ الفلاحِ وتحتَ الرَّقْشِ[3] خُسرانُ
وانقادَ مِنَّا قطيعُ الجَهْلِ يَتْبَعُهُمْ ... نَحْوَ الحُتُوفِ[4] كما تنقادُ ثِيرانُ!!!
كما الفراشاتُ تطوي الرَّحْبَ لاهثةً ... خلفَ الضِّياءِ فتُصْلِيهِنَّ[5] نيرانُ
بغدادُ هل قد تناسَوْا طهر شرعتنا ... أم ما تسامى[6] لها عقلٌ ووجدانُ؟!
تاللهِ لو لامسوا يومًا بشاشَتَهَا ... ما فارقوا هَدْيَهَا أو كانَ سُلوانُ
شَرْعُ عَليٍّ حِسانُ الخَلْقِ لُجَّتُهُ[7] ... وقانتاتُ[8] الحِجا[9] والرُّوحِ شُطْآنُ
تهفو إليه قلوبُ الخَلْقِ قاطبةً ... كما يَحِنُّ إلى المحبوب هَيْمانُ[10]
وكَمْ تَضِلُّ فتأويها مرافِئُهُ[11] ... كما تَجِنُّ[12] رِقاقَ الطَّيْرِ أَفْنَانُ

---

(١) العِهْر: الفجور والزنى.
(٢) الأدواء: جمع الداء؛ وهو: المرض.
(٣) رقش: رقش كلامه ترقيشًا: زَوَّقه.
(٤) الحُتُوف: جمع الحَتْفِ؛ وهو: الموت.
(٥) تُصْليهن: تحرقهن.
(٦) تسامى: سَمَا سُمُوًّا: علا وارتفع.
(٧) لُجَّته: لُجَّة البحر: عمقه ومعظمه.
(٨) قانتات: قنت قنوتًا: أطاع.
(٩) هيمان: مشتاق إلى محبوبه.
(١٠) الحِجَا: العقل.
(١١) مرافئه: مرافئ: جمع مَرْفَأ؛ وهو: مرسى السفن.
(١٢) تَجِنُّ: تخفي وتستر.

فكيفَ تهجرُ دربَ النورِ أُمَّتُنَا يَحْدُو خُطاهَا بليل التِّيهِ شَيْطَانُ؟!
وكيف تصرف عنه القلب زاهدة وقَدْ أتَتْهُ على الأَشْوَاقِ أَكْوَانُ؟!
كَمْ خَدَّرُوكِ بِبَعْثٍ[(١)] وَاعِدٍ زَعَمُوا يُحْيِي الأَشَاوِسَ[(٢)] والصِّيد الأُلى كَانُوا
وتُصْبِحِينَ فما «بَعْثٌ»[(٣)] سِوى «عَبَثٍ» بِشَرعِ رَبِّيَ فلا هَدْيٌ وقُرْآنُ
بَعْثٌ جَديدٌ ولكِنَّا إلى عَدَمٍ وَكَيْفَ تَنْهَضُ بالأَجْدَاثِ[(٤)] أَكْفَانُ
قَتْلٌ ونَفْيٌ وتَشْرِيدٌ ومَذْبَحَةٌ وَدَارُ لَهْوٍ وإرْهَابٌ وقُضْبَانُ
وَكَيْفَ تَسْمُو إلَى الْعَلْيَاءِ قُبَّرَةٌ[(٥)] أَمْ كَيْفَ يُثْمِرُ زُبْدَ الطَّلْحِ[(٦)] سَعْدَانُ[(٧)]
فكيفَ تَرْقُبُ مِنهُ النَّصر يا وَطني وذا حديثُ الأُلَى للبَعْثِ عُنوانُ
«آمنتُ بالبعثِ رَبًّا لا شريكَ لَهُ وبالعروبةِ دينًا ما لهُ ثَانِ»[(٨)]
بغدادُ قُولي فكيفَ اللهُ ينصُرنا أليسَ عُقبى جُحود الحَقِّ خُذلانُ؟!
بغدادُ لا تعجبي فالعُرْبُ ما فَقِهتْ بوحَ الدُّهُورِ وأَعْمَى قَلْبَهَا الرَّانُ[(٩)]
راحَتْ تَطِيرُ إلى الأعداءِ أَفْئِدَةٌ فالحبُّ مهرٌ وخلعُ الدِّينِ قُربانُ!
طَوْرًا جِهارًا وأَطْوارًا مُوارَبَةً لها وأعدا العِدَا صِهْرٌ وأَخْدَانُ!
طَوْرًا جِهارًا وعينُ الشَّعْبِ سِاذِجَةٌ[(١٠)] فالدِّينُ سَمْحٌ وأَصْلُ النَّاسِ إخْوانَ!!

(١) ببعث: حزب البعث: وهو حزب في العراق وسوريا له مبادئ تناقض الشريعة.
(٢) الأشاوس: جَمعُ الأَشْوَسِ؛ وهو: الجريء الشجاعُ.
(٣) بعث: حزب البعث: وهو حزب في العراق وسوريا له مبادئ تناقض الشريعة.
(٤) الأجْداث: جمع جدث؛ وهو: القبر.
(٥) قُبَّرةٌ: طائر صغير.
(٦) الطَّلْحُ: الموز.
(٧) سَعدان: نبت ذو شوك كثير ولكنه جيد كمرعى.
(٨) هذا البيت لأحد كبار شعراء حزب البعث.
(٩) الران: الغطاء الكثيف والحجاب الذي يغطي القلب من الذنوب فيمنعه من رؤية الحق حقًّا والباطل باطلًا.
(١٠) ساذجة: خالصة غير مشوبة؛ والمراد: قليلة الخبرة.

والدِّينُ شَيءٌ وأَغْراضُ الدُّنا أُخَرٌ ماذا يَضِيرُ وهُمْ لِلخَيرِ أَعْوانُ؟!
كَأَنَّ مَا رَاعَنا مِنْ أَهْلِ أَنْدلُسٍ خطْبٌ ولا مِن حليفِ اليومِ عُدوانُ!!
كَلَّا ولا قَدْ أتانا عَنْ سريرتِهِمْ فَضحٌ جَلِيٌّ به هَدْيٌ وفُرقَانُ!!
همُ العَدُو وبُغضُ السِّلْمِ دَيْدَنهُمْ[1] مُذْ كَان سِلْمٌ ومُذْ قَدْ كَان كُفْرانُ
تَبْدُو العداوةُ رَغْمَ المَكْرِ سَافِرةً بينَ الشِّفاهِ وملءُ الصَّدْرِ شَنْآنُ[2]
ودُّوا لَوَ انَّا عَنِتْنا[3] تِلْكَ مُنْيتهُمْ يسرِي بتِلكَ المُنَى في القوم شُريَانُ!!
إنْ عَنَّ[4] فَرْحٌ لنا يومًا ففرحتُهمْ في أَنْ يَعُمَّ دِيارَ السِّلْمِ خُسرانُ!!
لا يَرقُبونَ[5] بِنَا إِلًّا[6] ولا ذِمَةً[7] وهَلْ لِنَبْتِ الخَنَا[8] عَهْدٌ وَأَيْمَانُ؟!
قُلنا الفُظُوهُمْ فإِنَّ اللهَ أَبْعدهُمْ فالزَّورُ رُوحٌ لَهُمْ والغَدْرُ لُحْمَانُ
قُلنا مِرارًا فقالوا ما لكم صِلَةٌ بِنا دَعُونا فإِنَ القَوْمَ إِخْوَانُ
واليومَ عادَ رِفاقُ الأَمْسِ يا وطني أَعْدا الأَعَادِي وأَوْدى الحِقْدَ أَضْغانُ
عادُوا جميعًا فَمنْ لم يأتِ عَسْكرُه بذَّ[9] الجحافِل تأييدٌ وإِذعانُ
جَاءُوا جَمِيعًا تُثِيرُ الهند غزوَهُمُ وتفضَحُ السرَّ إِثْر السرِّ يُونانُ
جاءُوا عِيانًا وتحت الستر «طارقُهم»[10] يُبدى الخفاءَ فيأْوِيهِ الـ«بريطانُ»

---

(١) ديدنهم: الدَّيْدَنُ والدَّيْدَان: العادة والدأب.
(٢) شنآن: الشَّنَآن: البغض.
(٣) عنتنا: أصابنا العَنَتُ؛ وهو: الشدة.
(٤) عَنَّ: عَنَّ الشيء عَنًّا وعُنونًا: بدا وظهر.
(٥) يرقُبون: رَقَب رقْبًا ورُقُوبًا: حفظ وحرس.
(٦) إلا: الإِلُّ: العهد والقرابة.
(٧) ذمة: الذمَّة: العهد والأمان والحق والحرمة.
(٨) الخنا: الفحش في الكلام.
(٩) بذَّ: غلب وفاق وسبق.
(١٠) طارقهم: طارق عزيز نائب وزير الخارجية العراقي وطلبه حق اللجوء السياسي إلى بريطانيا.

جاءوا جميعًا فلا تَغْرُرْكَ خُلْفتُهم[١] فما توانَى[٢] غداةَ الخَطْبِ ألمانُ[٣]
هِيَ المصالحُ قَدْ أذكَتْ[٤] خِلافَهُمْ لا ليسَ دينٌ ولا عَدْلٌ وإنسانُ
جَاءوا جميعًا وفاقَ الكفرَ شيعتُنا[٥] أَمَا أَتَاكِ حَدِيثُ القَوْمِ إِذْ خَانُوا؟[٦]
تَجْرِي الخِيانَةُ في أَرْواحِهِمْ أبدًا مَجْرى الدِّماءِ بها للغَدْرِ أَلْحَانُ
كم ذَا يُسامِرُني التَّاريخُ غَدْرهُمُ وكيفَ كَادُوا لدينِ اللهِ مُذْ كانوا
وكيفَ بَاعُوا قِبابَ القُدْسِ بَاكِيةً[٧] كَيْما يَعِيشوا فهَلْ يَفْدِيكِ خَوَّانُ؟!
وكيفَ كَادُوا صلاحًا[٨] وابتَغوا دَمَهُ وكَيْفَ تَصْلَى بغدرِ القَوْمِ لُبنانُ[٩]
لا زِلْتُ أَقرأُ في عينيكِ غَدْرَتَهمْ إذ الرَّوافِضُ والأعداءُ أخدانُ[١٠]
عادَ الكلابُ ونارُ الغدرِ تأكُلُنا تُرى تُعيدُكِ يا بُغدادُ أَحْزَانُ
بَغْدادُ لا تَعْجبي فالُعرْبُ قد لَفَظَتْ رُوحَ العُروبَةِ حتَّى خَرَّ بُنيانُ
راحَتْ تنكَّرُ للإسلام في سَفَهٍ بعدَ الوِدادِ وأقسى الجُرحِ نُكرانُ
حتَّى غَدَوْنا كَأَنَّ السِّلْمَ عِلَّتُنا وأَنَّ سِرَّ تَدَانِي القومِ إيمانُ!!
حتَّى رَجَعْنا رُعاةَ الشَّاةِ ثانيةً تُغيرُ بَكْرٌ وتَسْبى الأُخْتَ غزوان
نَغْزُو الكُوَيْتَ ونَعْمَى عَنْ مَذَابِحِنا عِنْدَ اليهودِ فلا تَحْزُنْكِ إيرانُ

---

(١) خلفتهم: الخلفة: الاختلاف.
(٢) توانى: ونى وَنْيًا: فتر وضعُف وتأخّر.
(٣) فتح مستشفيات ألمانيا لمصابي حادث المطار من قوات المارينز.
(٤) أذكت: ذكى النار: ألهبها.
(٥) شيعتنا: الشيعة إحدى الفرق الضالة للمسلمين.
(٦) خيانة الشيعة بإخبارهم عن المجاهدين العرب.
(٧) تنازل الفاطميون عن القدس للصليبيين مقابل خروجهم سالمين.
(٨) محاولتهم اغتيال صلاح الدين الأيوبي ثلاث مرات.
(٩) الدور القذر للشيعة ضد المسلمين السنة في الحرب الأهلية بلبنان.
(١٠) خيانة ابن العلقمي الرافضي عند سقوط بغداد.

صِرْنَا الخَواءَ وكُلٌّ صَمَّ مَسْمَعَهُ ... يبغي الأَمَانَ وعافَ النُّطْقَ فُرسانُ
صِرْنَا الشَّتاتَ ولَيْلُ التِّيهِ مَرْتَعُنا ... ثَورٌ يسيرُ لمَهْلَكِه فثِيرانُ
واحَسْرَةَ القَلْبِ لا سِلْمٌ يُجَمِّعُنا ... نَحْوَ المَعَالَي وما في القومِ رُبَّانُ
بَغْدادُ لا تَعْجبي فالعُرْبُ قد مَجَنت[١] ... وللمعَاصِي لدى الهَيْجاءِ[٢] خُذلانُ
وكَفْكِفي الدَّمْعَ إنَّ القومَ قَدْ فَسَقُوا ... وعُدَّةُ الحَرْبِ قبلَ الرُّمْحِ إيمانُ
فهَلْ رِجالُكِ والهَيْجاءُ قَدْ حَمِيَتْ ... أُسْدٌ وتَحْتَ جَناحِ الليلِ رُهْبَانُ؟!
تِلْكَ الأَعَادِي أَعَدَّتْ نَارَها سَقَرًا ... ونَحْنَ عُدَّتُنا رقْصٌ وأَلْحَانُ!!
فكَيْفَ أُمِّي تَرَيْنَ النَّصْرَ عَنْ كَثَبٍ[٣] ... وقَدْ تَنَاغى[٤] بِكِ المَاخُورُ[٥] والحَانُ[٦]؟!
بَغْدادُ دَارَ زَمانُ العِهْرِ دَوْرَتَهُ ... وعاثَ بينَ القُصورِ البِيضِ صِبْيَانُ
جاءَ الأَعَادِي وجُلُّ القومِ مُعْتَضِدٌ ... بَيْنَ الجَوارِي وجُلُّ القَوْمِ ثَمْلَانُ
بغدادُ قُولي وهذِي حَرْبُ مُعْتَقَدٍ ... أَيَنْصُرُ الدِّينَ مَنْ للعِهْرِ قد دانُوا؟![٧]
عُرْبٌ وكُلٌّ عَتادُ العُرْبِ مِن قِدَمٍ ... في عَنْتَرِيِّ الهِجَا نَثْرٌ وأوزانُ
جاءَ الأَعَادِي وقالَ النَّارَ قالتُهم[٨] ... تُرى يَفُلُّ[٩] لظى البارودِ سَحْبَانُ[١٠]
بغدادُ أَمِّي ولا آلوك[١١] مَوْعِظَةً ... هذا حديثي ودمعُ القَلْبِ هَتَّانُ

---

(١) مجنت: مَجَنَ مُجُونًا: قل حياؤه.
(٢) الهَيْجاء: الحرب.
(٣) كَثَبٍ: قُرْبٍ.
(٤) تناغى: ناغى فلانًا: لاطفه بالمحادثة والملاعبة.
(٥) الماخور: بيت الريبة (الزنى).
(٦) الحان: محل بيع الخمور.
(٧) دانوا: دان: خضع وذل.
(٨) قالتهم: القالة جمع قائل.
(٩) يفل: فل السيف فلًّا: كسر حده.
(١٠) سحبان بن وائل خطيب العرب وكان يضرب به المثل في الفصاحة.
(١١) آلوك: ألا، ألوًا: فتر وضعف وقصر؛ أي لا أقصر في نصحي لك.

بغدادُ لا تَيْأَسِي فاليأسَ مهلكةٌ   واطوي الشُّجونَ فلَنْ تُجديكِ أشجانُ
تِلكَ الخُطوبُ أراها أنبتَتْ همَمًا   مِنَ المَوَاتِ فَهَبَّ لَدَيْكِ وَسْنانُ
بغدادُ عُودي فدارُ السِّلم ما فتأتْ[1]   تُومي[2] إليكِ ودَوحُ السِّلْمِ فَيْنانُ
بغدادُ عُودي إلى الإسلام خاشعةً   يعدُو إليك الحيا والعز والشّآنُ[3]

إن استقراء كتاب اللَّه ـ تَعَالَى ـ وسنة رسوله ﷺ ليؤكد تأكيدًا لا ريب فيه أن السبب الرئيس في هزيمة الأمة الإسلامية في كل معركة في عصرنا الحاضر إنما هو تخلي هذه الأمة عن سر قوتها.. وهو تمسكها بمبادئ دينها.. فإن المعصية أضر على الجيش من سيوف أعدائه، وإنه لا سبيل للنصر إلا بالعودة إلى كتاب اللَّه وسنة رسوله ﷺ.

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا﴾ [النور: ٥٥][4].

سيتحدث التاريخ عما فعله إيفان الرهيب (قيصر روسيا) بالمسلمين في القوقاز أثناء حكمه «١٥٤٧ـ ١٥٨٤م»، وما فعلته إمبراطورة الروس «**تسارينا آنا**» «١٧٣٨ـ ١٧٥٥م» بمساجد المسلمين في قازان.

سيتحدث التاريخ أن «**ستالين**» نفى شعب الشيشان بأكمله عام ١٩٤٥م «١,٢ مليون» إلى سيبريا، وظل الشعب منفيًا حتى سُمح له بالعودة عام ١٩٥٧م، وأنه نفاهم قبل ذلك في فبراير عام ١٩٤٤م إلى سيبريا، وقد مات ٥٠٪ من الشعب الشيشاني أثناء هذا التهجير القسري من الأطفال والنساء بسبب سياسة التجويع

(١) ما فتأت: ما زالت.
(٢) تومي: يومي: يشير.
(٣) قصيدة «بغداد عودي» لعبد الله العفاني.
(٤) ديوان: حداء الغرباء للشاعر عبد الله العفاني

حتى الموت[١].

أبادت روسيا أكثر من ٢٠ مليون مسلم[٢].

وما فعله سلوبودان ميلوسفيتش بالمسلمين في كوسوفا يفوق الخيال... حول حياة المسلمين إلى جحيم مستعر؛ لدفعهم إلى التخلي عن وطنهم والرحيل عنهم طوعًا أو كرهًا[٣].

٧ـ إزالة الفتنة عن الناس حتى يستمعوا إلى دلائل التوحيد من غير عائق:

وحتى يروا نظام الإسلام مطبقًا؛ ليعرفوا ما فيه من عدل وإصلاح للبشر، وما فيه من سمو في شتى المجالات.

والفتنة ثلاثة أنواع:

النوع الأول: ما يمارسه الكفار من أشكال التعذيب والتضييق على المسلمين؛ ليرتدوا عن دينهم. وقد ندب اللَّه المسلمين للجهاد؛ لإنقاذ المستضعفين. قال ـ تعَالَى ـ: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ۝٧٥﴾ [النساء: ٧٥].

وفي هذا لا تكفي ـ واللَّه ـ لسرد مآسي المسلمين على مدار التاريخ عند ضعفهم مئاتُ المجلدات، على يد الكافرين، وصنوفهم شتى.. بداية من أكل لحومهم بعد قتلهم، كما حدث أثناء الحروب الصليبية في معرَّة النعمان، واغتصاب النساء أمام الآباء والولدان، وجعل المساجد لرعي الخنازير، وعلى قبابها تعلو الصلبان.. اقرءوا التاريخ حتى لو كانت قلوبكم أقسى من الحجر، وانظروا إلى مآسي المسلمين

---

(١) محنة الشيشان، لشعبان عبدالرحمن ص (٧٤ ـ ٧٦)، دار الوفاء.

(٢) الدفاع عن أراضي المسلمين، للدكتور عبدالله عزام ص (١٢٤)، مكتبة المنار ـ الأردن.

(٣) كارثة المسلمين الجديدة كوسوفا بين التسوية والأساطير، لمحمد يوسف عدس ص (١٥)، المختار الإسلامي.

المستضعفين في فلسطين، وأفغانستان، والعراق والفلبين، والشيشان، وكشمير، وقبلها في الأندلس، ومحاكم التفتيش(١).

ماذا فعل الشيوعيون في يوغسلافيا بالمسلمين؟

زجوا بآلاف المسلمين في السجون، وبخيرة الشباب والعلماء، وعزم الحزب الشيوعي على إبادتهم إعدامًا؛ كما فعل أسلافه في الماضي حين قتلوا الفتى عصمت مفتيش والعالم الجليل عصمت يوصلا جيتش، كما أبادوا أكثر من اثني عشر ألف مسلم في المسجد الكبير بفوجا في شرق بوسنة، وعندما ذبحوا أكثر من ستة آلاف مسلم في جسر قورا جدة على نهر الدريفا، وعندما أبادوا أكثر من ثلاثة آلاف في توزلا وضواحيها، وأكثر من ستة آلاف مسلم في مقدونيا، وتم إعدام اثني عشر عالمًا مسلمًا ألبانيًّا في محاكم الشيوعيين، وإرسال عشرات من علماء البوسنة للسجون على رأسهم العالم قاسم دوبراجا ـ عليه رحمة اللَّه ـ، وأعيدت تلك المحاكمات عدة مرات للمحاكمة تحت المادة ١٣٣ الفترة الأولى والثانية بتهمة الدعاية المضادة للدولة والاتصال بجهات خارجية(٢).

وفي البوسنة والهرسك بعد سقوط يوغسلافيا ذُبح الآباء أمام الأبناء.

صبتُ المسكرات بالقوة في أفواه القاصرات، وحَقْنِهِنَّ بدماء الخنازير قبل الاغتصاب؛ امرأة تموت فورًا فيغتصبها جندي صربي مباشرة بعد موتها ـ وكان يقول: لا تزال ساخنة، يمكنني أن أفعل ذلك... اغتصاب آلاف الفتيات والنساء من مسلمي البوسنة .. المقابر الجماعية للمئات، ذبح الآلاف كما تُذبح الشياه، قطع الرءوس بالمناشير الكهربائية، وتعليق الرءوس على جانبي الطرق وفي المساجد، اغتصاب المئات من القاصرات ما بين خمسة سنوات إلى اثنتى عشرة سنة..

نناديكم وقد كَثُرَ النحيبُ   نناديكم ولكِنْ من يجيبُ

(١) نحيلك على كتاب: «قادة الغرب يقولون: دمِّروا الإسلام أبيدوا أهله»، لجلال العالم.

(٢) الدفاع عن أراضي المسلمين ص (١٢٠).

تعثرت الخُطَا حتى رأينا ... خُطَانا لا تَهَشُّ لها الدروبُ
نناديكم وآهاتُ الثكالى ... تُحدِّثُكُم بما اقترف الصليبُ
«سرايفو» تقول لكم ثيابي ... ممزقةٌ وجدراني ثقوبُ
محاريبي تَئِنُّ وقد تهاوى ... على أركانها القصفُ الرهيبُ
وأوردتي تُقَطَّعُ لا لِأَنِّي ... جنيْتُ ولا لأني لا أتوبُ
بناتُ المسلمين هنا سبايا ... وشمس المكرمُاتَ هنا تغيب
تبيت كريمةً ليلى وتضْحُو ... وَقَدْ أَلْغَى كَرَامَتَهَا الغَرِيبُ
تُخَبِّئُ وَجْهَهَا يا ليْتَ شِعْري ... بَمَاذَا يَنْطقُ الوَجْهُ الكَئِيبُ؟!
يَمُوتُ الطِّفْلُ في أحضَانِ أمٍّ ... تَهُدْهِدُهُ وقَدْ جَفَّ الحَلِيبُ
بكتْ حُزْنًا عليه بِغَيْرِ دَمْع ... وأيْنَ الدَّمْعُ والظَّمَأُ النَّصِيبُ
وكَمْ يْرعَى خَلايَا الجِسْمِ داءٌ ... فَيُهلِكُهُ وَقَدْ عَزَّ الطَّبِيبُ[١]

وفي بلغاريا عام ١٩٤٠م تم طرد ما يزيد عن مليون تركي من منطقة جنوب دبروكا، وقتل ما يزيد عن ثلاث مئة وخمسين ألفًا في المذابح التي قام بها البلغاريون ضد المسلمين هناك، ولم يستطع اللاجئون بعد الحرب العودة إلى أراضيهم[٢].

تَدَفَّقُ مِنْهَا كُلَّ يَوْمٍ قَوَافِلُ ... يَشُقُّ دَرُوبًا بِالْأَسَى وَالتَّظَلُّمِ
دُرُوبَ لِجُوءٍ فِي الْفَيَافِي تقَطَّعَتْ ... عَلَى دَمْعَةٍ أَوْ حَسْرَةٍ أَوْ تَنَدُّمِ
يَمِيلُونَ بِالطَّرْفِ الذَّلِيلِ لَعَلَّهُمْ ... يَرَوْنَ وَرَاءَ الْأُفُقِ طَلْعَةَ مُسْلِمِ
قَوَافِلُ تَمْضِي بَيْنَ أَفْوَاجِ رُضَّعٍ ... وَأَحْزَانِ ثَكْلَى أَوْ تَبَارِيحِ أَيِّمِ
وَبَيْنَ صَبَايَا يَالِذُلِّ دُمُوعِهَا ... وَأَفْوَاجِ أَطْفَالٍ وَأَمْوَاجِ يُتَّمِ

---

(١) من ديوان «من القدس إلى سرايفو» ص (١٤-١٧).
(٢) الدفاع عن أراضي المسلمين ص (١٣٩).

قَوَافِلُ تَمْضِي وَهْيَ تَسْحَبُ خَطْوَهَا ذَلِيلًا عَلَى شَوْكٍ مُدَمٍّ وَمُوضِمِ[١]
لَقَدْ خَلَّفُوا التَّارِيخِ يَدْمَى وَخَلَّفُوا أَبًا فِي مَيَادِينِ الْجِهَادِ الْمُضَرَّمِ
لَقَدْ خَلَّفُوا بَيْنَ الْمَيَادِينِ عُصْبَةً تُقَاتِلُ عَنْ دِينٍ أَعَزَّ وَأَقْوَمِ
فَهَلْ ثَبَتُوا فِيهَا أَمِ الْتَقَمَتْهُمُ بُطُونُ وُحُوشٍ أَوْ مَخَالِبُ قَشْعَمِ[٢]
يُفَرِّقُهُمْ كَيْدٌ شَدِيدٌ مُدَبَّرٌ وَمَكْرُ شَيَاطِينٍ وَعُدْوَانُ مُجْرِمِ
لَعَلَّكَ لَوْ عَايَنْتَ أُمًّا إِذَا دَنَا فِرَاقٌ وَهَاجَتْ بَيْنَ دَمْعٍ وَمَبْسَمِ
وَزَوْجًا يُدَارِي زَوْجَهُ وَصَبِيَّةً وَطِفْلًا وَأَشْوَاقَ الْفِرَاقِ الْمُصَرَّمِ
تَجَلَّدَ كَيْ يُخْفِي الدُّمُوعَ وَلَمْ يَزَلْ يُدَافِعُهَا بَيْنَ الْأَسَى وَالتَّحَلُّمِ
عَرَفْتَ إِذَنْ هَوْلَ الْجَرِيمَةِ وَالْمَدَى وَشِدَّةَ مَكْرٍ قَاتِلٍ مُتَوَغِّمِ[٣]
جَرَائِمُ! أَشْوَاقُ الطُّفُولَةِ لَمْ تَزَلْ تَمُوجُ بِهَا فِي لَهْفَةٍ وَتَلَوُّمِ[٤]
تَكَادُ عُيُونُ الطِّفْلِ تَسْأَلُ مَنْ أَنَا إِلَى أَيْنَ أَمْضِي يَا فَيَافِي تَكَلَّمِي
وَأَيْنَ أَبِي وَالْأَهْلُ وَيْحِي وَإِخْوَتِي وَلَهْفَةُ سَاحَاتٍ وَطَلْعَةُ أَنْجُمِ
وَأَيْنَ حَنَانُ الْأُمِّ أَوْ ضَمُّ صَدْرِهَا وَتَحْنَانُ عَيْنَيْهَا وَحُلْوُ التَّبَسُّمِ
إِذَا اغْرَوْرَقَتْ عَيْنَاهُ غَابَ وَرَاءَهَا مَلَاحِمُ تَارِيخٍ وَأَشْوَاقُ هُيَّمِ

* * *

وَيَسْأَلُ مَنْ هَذِي الْوُجُوهُ تَحُوطُنِي تَبِيعُ وَتَشْرِي بِي وَلَمْ تَتَأَثَّمِ
كَأَنِّي إِذَنْ أَصْبَحْتُ سِلْعَةَ تَاجِرٍ لَئِيمٍ يُوَارِي كَيْدَهُ بِالتَّكَرُّمِ
فَشَتَّانَ بَيْنَ الْفَضْلِ يَأْتِيهِ صَادِقٌ وَبَيْنَ يَدٍ مَنَّتْ بِثَوْبٍ وَدِرْهَمِ

---

(١) موضم: مؤلم، مذل.
(٢) القشعم: المسن من النسور.
(٣) متوغم: مغتاظ، قاهر.
(٤) تلوم: تلوم في الأمر: تمكث وانتظر.

وَبَيْنَ حَنَانِ الْأُمِّ هَاجَتْ ضُلُوعُهَا ... وَبَيْنَ مِرَاءٍ خَادِعٍ مُتَعَلَّمِ

أَتَحْمِلُنِي دُورُ النَّصَارَى وَبِيْعَةٌ ... وَسَاحَاتُ شِرْكٍ أَوْ مَنَازِلُ سُوَّمِ

لِتُنْزَعَ مِنِّي فِطْرَةٌ وَطَهَارَةٌ ... وَيُغْرَسَ بِي شِرْكٌ وَفِتْنَةُ مَأْثَمِ

فَيَا وَيْحَ نَفْسِي أَيْنَ قَوْمِي وَعُزْوَةٌ ... مِنَ الدِّينِ كَانَتْ لُحْمَةً لَمْ تُفَصَّمِ

أَضَاقَتْ دِيَارُ الْمُسْلِمِينَ وَضُيِّقَتْ ... عَلَى رَحْبِهَا يا لَلْبَلَاءِ الْمُرَغِّمِ(١)

فَسِيحِي إِذَنْ فِي الْأَرْضِ يَا نَفْسُ دُونَنَا ... أَعَاصِيرُ مِنْ تِيهٍ وَأَمْوَاجُ غَيْهَمِ(٢)

* * *

في أوغندا:

«بدأت المذبحة في قرية ناموجونجو على بعد ١٤كيلو مترًا شمال كمبالا العاصمة الأوغندية. فقد دخل القريةَ جنودٌ مجهزون بأسلحة ثقيلة ينشرون الدمار في كل شوارعها، ثم توجهوا إلى «**كيرو**» فبدءوا بالمسجد (وكان به جمع من المصلين يؤدون صلاة الظهر)، لم ينج أحد من القتل بما فيهم إمامهم الشيخ يوسف موللو. ونقل الصحفي الفرنسي دي بارين صورة لما حدث إلى صحيفة «**لوموند**»، فقال: «**بعد أن أحرقوا المسجد الصغير في كيرو جلسوا إلى الجوار يطهون خنزيرًا، ثم يأخذون قطع اللحم على الكتب الدينية المتناثرة في المكان بدلًا من الأطباق، وعندما غادروا المكان خلفوا وراءهم ٩٤ قتيلًا، ومسجدًا أكلته النيران**»(٣).

كان يوم ٧يوليو ١٩٨٣م يومًا مشهودًا في تاريخ المسلمين في «**بولو**» التي تقع على بعد ٢٥ميلًا غرب كمبالا، فقد تجمعوا فرحين مستبشرين يحتفلون بعيد الفطر المبارك، وبلا مقدمات دخل المسجد عدة عشرات من الجنود المدججين

---

(١) المرغم: الملصق أو الملزم للتراب.

(٢) غيهم: ظلمة.

(٣) الدفاع عن أراضي المسلمين ص (١٤٦، ١٤٧).

بالسلاح، سحبوا الإمام وخمسة مسلمين آخرين من قلب المسجد وذبحوهم على بابه دون أن يرمش لهم طرف، ثم قطعوا رقابهم أمام الجمع المذعور. وبعد أسبوعين أصدر مفتي أوغندا بيانًا نعى فيه الشهداء: عباس كتومبا، محمد سجربين، وسليمان زيروا، موسى كونجيزي، محمد رويجزا والشيخ كاتما نجيرا(١).

وفي الفلبين:

أبادت عناصر الكتيبة التاسعة والثلاثين للجيش الفلبيني بقيادة الكولونيل لاسبيرتو سافيدرا جموعًا كثيرة من المسلمين، في ٣٠أكتوبر ١٩٧٩م، وفي احتفالات عيد الأضحى المبارك يقتل الجيش النصراني أسرة بأكملها بمدينة ماراوي ـ راناو، وفي حملة عسكرية على بلدة واوؤ الإسلامية بمحافظة راناو اغتصب الجيش نساء مسلمات، ورموا بأطفالهم الرضع في سلال المهملات.

وفي الهند:

قتل وحرق جميع سكان ٥٢ قرية في مرة من المرات، وتدمير ١٥٠٠٠ بيت مسلم وسووها بالتراب(٢).

وفي أسبانيا:

ويذكر التاريخ للقائد الإسلامي خير الدين بربروس أنه مضى ومعه ٣٦ سفينة من الجزائر وأنقذ ما يقارب من سبعين ألفًا من مسلمي أسبانيا من رجالهم ونسائهم وأطفالهم، كانوا يريدون منهم التخلي عن دينهم(٣) وفي محاكم التفتيش من القتل ما يفوق الخيال.

النوع الثاني:

من الفتن التي يزيلها الجهاد الأوضاع والأنظمة الشركية وما ينتج عنها من

---

(١) المصدر السابق ص (١٤٨، ١٤٩).

(٢) المصدر السابق ص (١٥٨).

(٣) يراجع: كتاب خير الدين بربا روس، لبسام العسلي ـ دار النفائس.

فساد في شتى مجالات الحياة.

فإن هذه من شأنها أنها تفتن المسلم عن دينه؛ لذلك صارت إزالتها هي الهدف الرئيس للجهاد، كما سبق أن بينا أن أكثر السلف يفسرون الفتنة في قوله ـ تَعَالَى ـ: ﴿وَقَـٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ بالشرك. ومن فسر الفتنة بما يمارسه الكفار لصد المسلم عن دينه من أنواع التعذيب فلا منافاة بين قوله وقول الفريق الأول، فإزالة الشرك مقصودة، ورفع الفتنة عن المسلمين وإنقاذ المستضعفين مقصود كذلك، وقد دل على كلا الأمرين الكتاب والسنة وإجماع فقهاء الأمة كما تقدم.

ومن هذا الباب إخضاع أهل الجزية لأحكام الإسلام، ومنعهم من المجاهرة بدينهم، ومنعهم من التعامل بالربا، والزنا ونحو ذلك؛ لأن هذه الأوضاع من شأنها أنها تفتن المسلم عن دينه.

وقد أمر اللَّه المسلمين بالجهاد حتى تزول الفتنة، ورسوله اللَّه ﷺ لما صالح أهل نجران أرسل إليهم من الصحابة من يقيم على البلاد حكم الإسلام، إلا في أمور النصارى الخاصة بهم داخل كنائسهم، واشترط عليهم ألا يتعاملوا بالربا، فإن تعاملوا به فذمة الرسول ﷺ منهم بريئة[(١)].

ومن إزالة الفتنة عن المسلمين فك أسراهم، فإن من شأن الكفار أنهم يفتنون الأسرى عن دينهم؛ لذلك قال الفقهاء: إن فك الأسير فرض عين على المسلمين، ويتعين عليهم الجهاد حتى يستنقذوا أسرى المسلمين جميعًا[(٢)]. وقال ابن بطال: فكاك الأسير واجب على الكفاية، وبه قال الجمهور[(٣)].

قلت: معلوم أن فرض الكفاية إذا لم يقم به مَنْ يكفي صار فرض عين على القادر حتى تحصل الكفاية. فإزالة الفتنة عن المسلمين وإعزاز المسلمين وإذلال

---

(١) الخراج، لأبي يوسف ص (٧٧).
(٢) القوانين الفقهية، لابن جزي المالكي ص (١٢٦).
(٣) فتح الباري، لابن حجر (٦/١١٦).

الكافرين كلها من مقصود الجهاد. وقد روي عن عمر بن الخطاب ﷺ أنه رُفِعَ إليه ذمي نخس دابة عليها امرأة مسلمة فرمحت فأسقطتها فانكشف بعض عورتها، فأمر بصلبه في الموضع(١).

وقول اللّه ـ تَعَالَى ـ: ﴿حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾ دليل على أن إلزام الكفار الذلة والصغار من أهداف الجهاد الإسلامي، وكذلك إعزاز المسلمين ورفع المهانة عنهم، فقد كان من أسباب طرد الرسول ﷺ ليهود بني قينقاع أن منهم رجلًا كشف عورة امرأة مسلمة؛ ليضحك الناس عليها، فقتله رجل من المسلمين كان حاضرًا، فلم ينكر النبي ﷺ قتل ذلك اليهودي الذي رام إذلال المسلمة، بل كاد أن يقتل بقية يهود بني قينقاع حتى شفع فيهم رأس النفاق بالمدينة ـ لعنه اللّه وأخزاه ـ، فترك الرسول ﷺ قتلهم؛ لمقاصد شرعية، وأجلاهم عن المدينة(٢).

النوع الثالث من الفتن:

فتنة الكفار أنفسهم، وصدهم عن استماع الحق وقبوله.

وذلك أن الأنظمة والحكومات الشركية تقيم حاجزًا بين الناس واستماع الحق أو قبوله بتخريبها لفطر الناس بما تشرعه لهم من مناهج في شتى مجالات الحياة، فإذا فسدت فطر الناس وعقولهم قل أن يستجيبوا للهدى، وإذا تربى جيل على الذلة والمهانة والعبودية للخلق من دون الخالق وتربى على الإدمان وعلى الخمر، والتمرغ في وحل الجنس، والتحلل من الأخلاق الفاضلة قل أن يرتفع إلى مستوى النفس البشرية السوية التي تعرف المعروف من المنكر وتحب الخير وتبغض الشر إلا أن يتداركه اللّه برحمة منه.

لذا كان من أهداف الجهاد إزالة الفتنة عن الكفار أنفسهم بالإضافة إلى إزالتها

---

(١) تفسير القرطبي (٨/٨٣).

(٢) البداية والنهاية (٤/٣).

عن المسلمين من باب أولى، فإذا زالت الفتنة عن الكفار المحكومين من قبل الطغاة المتألهين الذين يشرعون ما يفسد الفطرة البشرية لكي يضمنوا عبوديتها لهم رُجِيَ إسلامهم واستجابتهم لداعي الهدى، لا سيما إذا عاشوا في المجتمع الإسلامي الذي يخضع لتشريعات اللَّه العليم الخبير، خالق النفس البشرية والعالم بما يصلحها، وهذا طرف من الحكمة الإلهية في تشريع الجزية على أهل الكتاب والمجوس؛ لإعطائهم فرصة تصلح فيها فطرهم بتطبيقها لتشريعات الإسلام العامة، ومخالطة المسلمين، ومعرفة ما في الدين الإسلامي من تكريم للنفس البشرية، وانتشالها من القبائح إلى الفضائل، ومن عبادة الخلق والشيطان والهوى إلى عبادة الحي القيوم.

٨ـ حماية الدولة الإسلامية من شر الكفار:

ومن الأدلة على هذا الهدف العظيم ما رواه الإمام أحمد بسنده عن ابن عبداللَّه بن أنيس عن أبيه رضي الله عنه قال: دعاني رسول اللَّه ﷺ فقال: «**إنه قد بلغني إن خالد بن سفان بن نبيح يجمع لي الناس ليغزوني وهو بعرنة، فأته فاقتله**»، قال: قلت: يا رسول الله، انعته لي حتى أعرفه. قال: «**إذا رأيته وجدت له أقشعريرة**». قال: فخرجت متوشحًا بسيفي حتى وقعت عليه وهو بعرنة مع ظعن يرتاد لهن منزلًا، وحين كان وقت العصر فلما رأيته وجدت ما وصف لي رسول اللَّه ﷺ من الأقشعريرة، فأقبلت نحوه وخشيت أن يكون بيني وبينه محاولة تشغلني عن الصلاة، فصليت وأنا أمشي نحوه أومئ برأسي الركوع والسجود، فلما انتهيت له قال: من الرجل؟ قلت: رجل من العرب سمع بك وبجمعك لهذا الرجل فجاءك لهذا. قال: أجل أنا في ذلك. قال: فمشيت معه شيئًا حتى إذا أمكنني حملت عليه السيف حتى قتلته، ثم خرجت وتركت ظعائنه مكبات عليه، فلما قدمت على رسول اللَّه ﷺ فرآني فقال: «**أفلح الوجه**». قال: قلت: قتلته يا رسول الله. قال: «**صدقت**». قال: ثم قام معي رسول اللَّه ﷺ، فدخل في بيته، فأعطاني عصا، فقال: «**أمسك هذه العصا عندك يا عبد اللَّه بن أنيس**»، قال: فخرجت بها على

الناس فقالوا: ما هذه العصا؟ قال: قلت: أعطانيها رسول اللَّه ﷺ وأمرني أن أمسكها، قالوا: أولا ترجع إلى رسول اللَّه ﷺ فتسأله عن ذلك؟ قال: فرجعت إلى رسول اللَّه ﷺ ، فقلت: يا رسول الله، لم أعطيتني هذه العصا؟ قال: «**آية بيني وبينك يوم القيامة، إن أقل الناس المنحصرون يومئذ يوم القيامة**»، فقرنها عبدالله بسيفه، فلم تزل معه حتى إذا مات أمر بها فصبت معه في كفنه، ثم دفنا جميعًا»[١] .

ومن ذلك أمر الرسول ﷺ بقتل كعب بن الأشرف اليهودي، وسلام بن أبي الحقيق اليهودي؛ فإنهما كانا مصدر خطر على الدولة الإسلامية، فأرسل لهما الرسول ﷺ من يقتلهما.

ومن ذلك حض الرسول ﷺ على الرباط وحراسة المسلمين، والرباط هو المرابطة في الثغور على حدود الدولة الإسلامية وفي مقابلة الأعداء.

وفيما تقدم دليل جلي على أن حماية الدولة الإسلامية من أهداف الجهاد العظيمة، ولكن مما ينبغي أن يُتَنَبَّهَ له أن الدولة الإسلامية ليست حوزة من الأرض لها حدود معينة يحافظ عليها فقط، بل كلما امتد الإسلام إلى أرض وأزال عنها أنظمة الشرك صارت داخلة في الدولة الإسلامية، فعلى المسلمين المحافظة عليها، ودفع سلطان الإسلام إلى الأمام في الأراضي المجاورة؛ لكي تتوسع رقعة الدولة الإسلامية؛ لأن الإسلام يتطلب الأرض كلها؛ ليخضعها لحكم اللَّه ورسوله ﷺ ، فليس دين اللَّه مرادًا به بلدًا معينًا أو جنسًا معينًا من الأجناس البشرية.

يقول سيد قطب: «وحقيقة أن حماية دار الإسلام حماية للعقيدة والمنهج والمجتمع الذي يسود فيه المنهج، ولكنها هي ليست الهدف النهائي، وليست حمايتها هي الغاية الأخيرة لحركة الجهاد الإسلامي، إنما حمايتها هي الوسيلة لقيام

---

(١) مسند أحمد (٤٩٦/٣).

مملكة اللَّه فيها، ثم لاتخاذها قاعدة انطلاق إلى الأرض كلها وإلى النوع الإنساني بجملته، فالنوع الإنساني هو موضوع هذا الدين، والأرض هي مجاله الكبير»[(١)].

٩ـ قتل الكافرين وإبادتهم ومحقهم:

وذلك لأن الكفر كالسرطان، بل أشد، فإذا لم يسلم الكافر أو يخضع للحكم الإسلامي فلا بد من استئصاله حتى لا يفسد المجتمع الذي يوجد فيه؛ يقول ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّواْ ٱلْوَثَاقَ﴾.

ويقول ـ جل شأنه ـ: ﴿قَـٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾﴾

﴿فَٱضْرِبُواْ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُواْ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾، ﴿وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾

﴿وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَـٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ [الأنفال: ٧]، ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الأنفال: ٦٧]، ﴿لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُواْ خَآئِبِينَ ﴿١٢٧﴾﴾ [آل عمران: ١٢٧].

ومن ترغيب الرسول ﷺ في قتل الكافرين قوله ﷺ: **«لا يجتمع في النار كافر وقاتله أبدًا»**[(٢)]، ويدل على هذا ـ أيضًا ـ حرص رسول اللَّه ﷺ على قتل أبي جهل وغيره من صناديد الكفر؛ يقول عبداللَّه بن مسعود رضي الله عنه عن مقتل أبي جهل: «**فجعلت أتناوله بسيف لي غير طائل فأصبت يده، فندر سيفه، فأخذته فضربته حتى قتلته، قال: ثم خرجت حتى أتيت النبي** ﷺ كأنما أقل من الأرض، فأخبرته، فقال: «**اللَّه لا إله إلا هو**» رددها ثلاثًا، قال: قلت: اللَّه الذي لا إله إلا هو، قال: فخرج

---

(١) في ظلال القرآن (٣: ١٤٤١).

(٢) صحيح: رواه مسلم وأبو داود.

يمشي معي حتى قام عليه، فقال: «**الحمد لله الذي قد أخزاك اللَّه يا عدو اللَّه هذا كان فرعون هذه الأمة**»».

ولما قَتَلَ جليبيب سبعة المشركين ثم قتلوه، قال النبي ﷺ مثنيًا عليه: «**قتل سبعة ثم قتلوه، هذا مني وأنا منه**» الحديث.

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما استشاره رسول اللَّه ﷺ في أسارى بدر: «**أرى أن تمكنني من فلان ـ قريب لعمر ـ فأضرب عنقه، وتمكن عليًا من عقيل فيضرب عنقه، وتمكن حمزة من فلان أخيه يضرب عنقه، حتى يعلم اللَّه أن ليست في قلوبنا هوادة للمشركين، وهؤلاء صناديدهم وأئمتهم وقادتهم**».

وقد نزل القرآن الكريم حاضًّا على هذا الهدف وهو قتل صناديد الكفر حتى يتم الإثخان في الأرض. قال ـ تعَالَى ـ: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ لَّوْلَا كِتَـٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾﴾.

وفي معركة «**نهر الدم**» ينادي خالد بن الوليد في المسلمين: الأسر الأسر حتى يوفي بنذره لله عز وجل أن يجري النهر من دمائهم، ثم جمعهم على حافة النهر وضرب رقابهم.

وفي معركة «**الزلاقة**» كانت جيوش النصارى مئة ألف من المشاة، وثمانين ألفًا من الفرسان فأبادهم المسلمون، ولم ينج من هذا الجيش سوى أربع مئة أو خمس مئة فارس، وأمر ابن تاشفين برءوس القتلى فصُفَّت في سهل الزلاقة على شكل هرم، ثم أمر فأذن للصلاة من فوق أحدها.

ولله دَرُّ خالد بن الوليد لما قال لرسول ملك الروم يوم اليرموك: إنَّا قوم نحب شرب الدماء، وقد بلغنا أن دماء الروم من أحلى الدماء مذاقًا، فلا نعود إلا بشرب دمائكم.

١٠ـ إرهاب الكفار، وإخزاؤهم، وإذلالهم، وإيهان كيدهم، وإغاظتهم:

قال ـ تَعَالَى ـ: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٥٩]، وقال ـ تَعَالَى ـ: ﴿قَـٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ ۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾﴾ [التوبة: ١٤، ١٥]. وقال ـ تَعَالَى ـ: ﴿ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿١٨﴾﴾ [الأنفال: ١٨].

ومما يدل على أن إخافة العدو من مقاصد الجهاد ما رواه الإمام أحمد عن أم مالك البهزية ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ـ قالت: قال رسول اللَّه ﷺ «**خير الناس في الفتنة رجل معتزل في ماله يعبد ربه ويؤدي حقه، ورجل آخذ برأس فرسه في سبيل اللَّه يخيفهم ويخيفونه**»[(١)].

ويقول ابن القيم «... ولا شيء أحب إلى اللَّه من مراغمة وليه لعدوه، وإغاظته له، وقد أشار ـ سبحانه ـ إلى هذه العبودية في مواضع من كتابه؛ أحدها قوله ـ تَعَالَى ـ: ﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِى ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً﴾؛ سمي المهاجر الذي يهاجر إلى عبادة اللَّه مراغمًا يراغم به عدو اللَّه وعدوه، واللَّه يحب من وليه مراغمة عدوه وإغاظته كما قال ـ تَعَالَى ـ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَـٰلِحٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾

وقال ـ تَعَالَى ـ في مثل رسوله ﷺ وأتباعه: ﴿وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾،

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد (٤١٩/٦)، وسيأتي تخريجه كاملًا.

فمغايظة الكفار غاية محبوبة للرب مطلوبة، فموافقته فيها من كمال العبودية.

وشرع النبي ﷺ للمصلي إذا سها في صلاته سجدتين، وقال: «**إن كانت صلاته تامة كانتا ترغمان أنف الشيطان**»، وفي رواية «**ترغيمًا للشيطان**»، وسماهما المرغمتين، فمن تعبد اللَّه بمراغمة عدوه فقد أخذ من الصديقية بسهم وافر، وعلى قدر محبة العبد لربه وموالاته ومعاداته لعدوه يكون نصيبه من هذه المراغمة، ولأجل هذه المراغمة حُمِدَ التبختر بين الصفين...»[1].

كتب هارون الرشيد إلى نقفور ملك الروم: «بسم اللَّه الرحمن الرحيم. من هارون أمير المؤمنين إلى نقفور كلب الروم.

قد قرأت كتابك يا ابن الكافرة، والجواب ما تراه دون أن تسمعه. والسلام»[2].

وألب أرسلان يبيع إمبراطور الروم بكلب.

ومحمد بن عبدالرحمن بن الحكم بن هشام الخليفة الأندلسي صاحب «**موقعة سليط**» الملحمة العظمى التي يقال: إنه قُتل فيها ثلاث مئة ألف كافر.

والحاجب المنصور الذي يكتب إلى قادة النصارى: «**إنا لا نكاد نصل إلى بلادنا إلا وقد جاء وقت الغزوة الأخرى، فنقعد هاهنا إلى وقت الغزاة، فإذا غزونا عدْنا**»، فما زال الإفرنج يسألونه إلى أن قرَّر عليهم أن يحملوا على دوابهم ما معه من الغنائم والسبْي، وأن يمدوه بالميرة حتى يصل إلى بلاده، وأن يُنحُّوا جيف القتلى عن طريقة بأنفسهم، ففعلو ذلك كله».

وكتب يوسف بن تاشفين إلى ألفونسو ملك أسبانيا: «**الذي سيكون ستراه**».

وكتب يعقوب بن يوسف ملك الموحدين وبطل معركة «**الأرك**» إلى ألفونسو

---

(١) مدارج السالكين، لابن القيم (١/٢٢٦).

(٢) تاريخ الطبري: أحداث سنة (١٨٧، ١٩٠ هـ)، والكامل، لابن الأثير: أحداث سنة (١٨٧هـ).

الثامن ملك قشتالة ممزقًا كتابه، فكتب على ظهر قطعة منه: ﴿ٱرۡجِعۡ إِلَيۡهِمۡ فَلَنَأۡتِيَنَّهُم بِجُنُودٖ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخۡرِجَنَّهُم مِّنۡهَآ أَذِلَّةٗ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ٣٧﴾ [النمل: ٣٧]، الجواب ما ترى لا ما تسمع.

ولا كُتْبَ إلا المشرفيَّةُ عندَهُ ولا رُسْلَ إلا الخميس العرمرمُ[1]

١١ـ كَشْف المنافقين:

فإن المسلمين في حال الرخاء والسعة ينضاف إليهم غيرهم ممن يطمعون في تحقيق مكاسب مادية وهم لا يريدون رفع كلمة اللَّه على كلمة الكفر، وقد يتصنعون الإخلاص فيخفى أمرهم على كثير من المسلمين، وأكبر كاشف لهم هو الجهاد؛ لأن في الجهاد بذلًا لأغلى ما يملك الإنسان غير عقيدته، وهو روحه، والمنافق ما نافق إلا ليحفظ روحه، وليوفر لنفسه ملذاتها، فإذا دعا داعي الجهاد الذي قد يعرضه لفقد روحه انكشف نفاقه للناس؛ يقول اللَّه ـ تَعَالَى ـ:

﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمۡ عَلَيۡهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلۡخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِۗ﴾ [آل عمران: ١٧٩]، ويقول: ﴿فَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ مُّحۡكَمَةٞ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلۡقِتَالُ رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ نَظَرَ ٱلۡمَغۡشِيِّ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡمَوۡتِۖ﴾ [محمد: ٢٠].

ومعرفة المؤمنين للمنافقين فيها فوائد لا تحصى، فإنهم العدو الداخلي وخطرهم يفوق خطر العدو الخارجي أحيانًا. فإذا عُرفوا مُنعوا من الغزو مع المسلمين، ولا يستمع المؤمنون لما يعرضونه عليهم من أراجيف وتثبيط، ومن أقاويل يلبسونها ثياب النصح والإصطلاح، وجاهدهم المؤمنون بما أمرهم اللَّه به: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ﴾ [التوبة: ٧٣].

١٢ـ تمحيص المؤمنين من ذنوبهم ومغفرتها.

---

(١) سير أعلام النبلاء (٢١/٣١٨).

١٣ـ تربية المؤمنين على الصبر والثبات، والطاعة وبذل النفس، وغير ذلك من الفوائد التربوية:

فإن الركون إلى الراحة والدعة، وعدم ممارسة الشدائد والصعاب تورث العبد ذلًّا وخمولًا وتشبثًا بمتاع الحياة الدنيا، وخوض المعارك ومقارعة الأعداء والتعرض لنيل رضا اللَّه في ساحات الوغى يصقل النفوس، ويهذبها، ويذكرها بمصيرها، ويوجب لها استعدادًا للرحيل حتى تصبح ممارسةُ الجهاد عادةً لها تشتاق لها كما يشتاق الخاملون للقعود والراحة.

وتتربى في النفس البشرية من الجهاد صفات كثيرة؛ كصفة الشجاعة، والنجدة، والصبر، والأخوة، والعفو ونحو ذلك من الصفات المحمودة، ويزول من النفس ما يقابلها من الصفات المذمومة؛ كصفة الجبن، والشح، والأنانية ونحو ذلك.

١٤ـ ولأن الجهاد أفضل العبادات بعد الإيمان:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: مرَّ رجل من أصحاب رسول اللَّه ﷺ بشِعْب فيه عُيينة من ماء عَذْبة، فأعجبته لطيبها، فقال: لو اعتزلت الناس فأقمتُ في هذا الشِّعب، ولن أفعل حتى أستأذن رسول اللَّه ﷺ فذكر ذلك لرسول اللَّه ﷺ فقال: «**لا تفعل، فإن مقام أحدكم في سبيل اللَّه أفضل من صلاته في بيته سبعين عامًا، ألا تحبون أن يغفر اللَّه لكم ويدخلكم الجنة؟! اغزوا في سبيل الله، من قاتل في سبيل اللَّه فواق ناقة وجبت له الجنة**»[(١)].

١٥ـ الجهاد أفضل الأعمال على الإطلاق:

عن عمرو بن عبسة رضي الله عنه قال: قال رجل: يا رسول الله، ما الإسلام؟ قال: «**أن يُسلِم قلبك لله** عز وجل، وأن يَسْلَم المسلمون من لسانك ويدك».

---

(١) **حسن**: أخرجه الترمذي (١٦٥٠)، والبيهقي (٩/١٦٠، ١٦١)، والحاكم (٢/٦٨)، والحديث حسن.

قال: فأي الإسلام أفضل؟ قال: «**الإيمان**».

قال: وما الإيمان؟ قال: «**أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، والبعث بعد الموت**». قال: فأي الإيمان أفضل؟ قال: «**الهجرة**».

قال: فما الهجرة؟ قال: «**أن تهجر السوء**».

قال: فأي الهجرة أفضل؟ قال: «**الجهاد**».

قال: وما الجهاد؟ قال: «**أن تقاتل الكفار إذا لقيتهم**».

قال: فأي الجهاد أفضل؟ قال: «**مَن عُقِر جواده وأهريق دمه**»(١).

١٦ـ الجهاد لا يعدله شيء:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول اللَّه ﷺ فقال: دُلَّني على عمل يعدل الجهاد؟ قال: «**لا أجده**». قال: «**هل تستطيع إذا خرج المجاهد أن تدخل مسجدك فتقوم ولا تفتُر، وتصوم ولا تُفطِر؟**» قال: ومن يستطيع ذلك؟(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قيل للنبي ﷺ ما يعدل الجهاد في سبيل الله؟ قال: «**لا تستطيعونه**».

قال: فأعادوا عليه مرتين وثلاثًا، كل ذلك يقول: «**لا تستطيعونه**»، وقال في الثالثة: «**مثل المجاهد في سبيل اللَّه كمثل الصائم القائم القانت بآيات الله، لا يفتر من صيام ولا صلاة حتى يرجع المجاهد في سبيل اللَّه ـ تَعَالَى ـ**»(٣).

١٧ـ وهو أحب الأعمال إلى الله:

عن عبداللَّه بن سلام رضي الله عنه قال: قعدنا نفر من أصحاب رسول اللَّه ﷺ فتذاكرنا فقلنا: لو نعلمُ أي الأعمال أحب إلى اللَّه لعملناه؟ فأنزل اللَّه ـ تَعَالَى ـ:

---

(١) **صحيح**: أخرجه أحمد (٤/١١٤).

(٢) أخرجه البخاري (٢٧٨٥).

(٣) أخرجه مسلم (١٨٧٨).

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢﴾ [الصف: ١، ٢].

قال عبدالله بن سلام: فقرأها علينا رسول الله ﷺ(١).

١٨ـ المجاهد من أفضل الناس عند الله:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قيل: يا رسول الله، أي الناس أفضل؟ فقال رسول الله ﷺ: **«مؤمن يجاهد في سبيل الله بنفسه وماله»**. قالوا: ثم من؟ قال: **«مؤمن في شِعْب من الشِّعاب يتقي الله، ويدع الناس من شره»**(٢).

١٩ـ الجهاد مذهب للهمِّ والغم:

عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«جاهدوا في سبيل الله، فإن الجهاد في سبيل الله ـ تبارك وتعالى ـ باب من أبواب الجنة يُنجِّي الله ـ تبارك وتعالى ـ به من الهمِّ والغم»**(٣).

وكيف لا يقتل المسلمين الغمُّ والهمُّ على اغتصاب النساء وسبي الحرائر:

كَيفَ القرارُ وَكيفَ يهدأُ مسلمُ ... والمسلماتُ معَ العدوِّ المعتدِي

وانظر إلى الشاعر كيف يستمطر الدمع فيقول:

أَتُسْبَى المسلماتُ بِكُلِّ ثَغْرٍ ... وَعيشُ المسلمين إذن يَطيبُ

أَمَا لِلَّهِ والإسلامِ حَقٌّ ... يُدافِعُ عَنهُ شُبَّانٌ وشِيبُ

وما أحزن قول الدكتور عدنان النحوي:

وَضَاعَتْ «كُسُوفُو» يَا لِهَوْلِ جَرِيمَةٍ ... وَ«أَلْبَانِيَا» أَضْحَتْ بِقَبْضَةِ مُجْرِمِ

وَغَابَتْ وَرَاءَ الأُفْقِ عَنْكِ قِبَابُهَا ... عَلَى غُصَصٍ مِنْ حَسْرَةٍ وَتَنَدُّمِ

---

(١) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٣٣٠٩)، والبيهقي (٩/١٥٩، ١٦٠)، والحاكم (٢/٦٩).

(٢) أخرجه البخاري (٢٧٨٦)، ومسلم (١٨٨٨).

(٣) **صحيح لغيره**: أخرجه أحمد (٥/٣١٤) واللفظ له، والحاكم (٢/٧٥).

وَغَابَ أَذَانٌ وَالصَّدَى يَدْفَعُ الصَّدَى عَلَى أُفُقٍ نَاءِ الْمَسَالِكِ أَقْتَمِ

* * *

فَمَنْ لِزُحُوفِ الْيَوْمِ وَالنَّاسُ جُلُّهُمْ طَوَائِفُ شَتَّى بَيْنَ لَاهِينَ نُوَّمِ
تَلَاقَتْ عَلَى الْآفَاقِ أَدْمُعُ أُمَّةٍ وَغَابَتْ عَنِ الْآفَاقِ وَثْبَاتُ ضَيْغَمِ
وَصَارَتْ شُعُوبُ الْمُسْلِمِينَ بِسَاحِهَا قَوَافِلَ تِيهٍ أَوْ تَبَارِيحَ هُوَّمِ
أَطَلَّتْ وَرَاءَ الْأُفْقِ مِنْهَا مَآذِنٌ تُنَادِي وَتَدْعُو كُلَّ قَرْنٍ مُعَظَّمِ
وَتَدْعُو شُعُوبَ الْمُسْلِمِينَ وَقَدْ غَفَوْا عَلَى جَهْلِهِمْ فِي حَيْرَةٍ وَتَبَرُّمِ
تَقُولُ لَهُمْ هَذِي مَيَادِينُ عِزَّةٍ فَصُبُّوا هُنَا يَا قَوْمِ مَا عَزَّ مِنْ دَمِ
سَتَمْضِي عَلَيْكُمْ إِنْ رَكَنْتُمْ مَذَلَّةٌ تَذُوقُونَ مِنْ صَابٍ عَلَيْهَا وَعَلْقَمِ
أَتَعْنُو رِقَابُ الْمُسْلِمِينَ لِكَافِرٍ وَتَخْضَعُ دَارٌ لِلْعَدُوِّ الْمُصَلِّمِ[1]

واستمع إلى أبي البقاء الرندي[2] الأندلسي وهو يرثي الأندلس:

لِكُلِّ شَيْءٍ إِذَا مَا تَمَّ نُقْصَانُ فَلَا يُغَرَّ بِطِيبِ الْعَيْشِ إِنْسَانُ
هِيَ الْأُمُورُ كَمَا شَاهَدْتَهَا دُوَلٌ مَنْ سَرَّهُ زَمَنٌ سَاءَتْهُ أَزْمَانُ
وَعَالَمُ الْكَوْنِ لَا تَبْقَى مَحَاسِنُهُ وَلَا يَدُومُ عَلَى حَالٍ لَهَا شَانُ
يُمَزِّقُ الدَّهْرُ حَتْمًا كُلَّ سَابِغَةٍ إِذَا نَبَتْ[3] مَشْرَفِيَّاتٌ وَخِرْصَانُ[4]

---

(١) المصلم: المستأصل.

(٢) هو: الشاعر المجود المتقن صالح بن شريف الرندي، والمشتهر بأبي البقاء الرندي، الشاعر الأندلسي المعروف، نظم قصيدته في رثاء الأندلس، مات ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ سنة ٧٩٨هـ.
انظر: «نفح الطيب»، للمقري التلمساني (٢/١٩٤، ٣/٣٤٧، ٤/١٤٧، ٤٨٦، ٤٨٨، ٥/٦٠٢)؛ و«الإذاعة في أشراط الساعة»، للسيد صديق حسن خان القبوجي؛ «وجواهر الأدب»، للسيد أحمد الهاشمي، ص (٦٢٠، ٦٢٢).

(٣) نَبَتْ: نَبَا حد السيف: إذا لم يقطع.

(٤) مشرفيات: المشارف: قرى من أرض اليمن أو من أرض العرب تدنو من الريف تنسب إليها السيوف المشرفية. خرصان: جمع خرص؛ وهو: سنان الرمح.

وَيُنْتَضَى كُلُّ سَيْفٍ لِلْفَنَاءِ وَلَوْ ... كَانَ ابْنَ ذِي يَزَنٍ وَالْغِمْدُ غُمْدَانُ

أَيْنَ الْمُلُوكُ ذَوُو التِّيجَانِ مِنْ يَمَنٍ ... وَأَيْنَ مِنْهُمْ أَكَالِيلٌ وَتِيجَانُ

وَأَيْنَ مَا شَادَهُ شَدَّادُ مِنْ إِرَمٍ ... وَأَيْنَ مَا سَاسَهُ فِي الْفُرْسِ سَاسَانُ

وَأَيْنَ مَا حَازَهُ قَارُونُ مِنْ ذَهَبٍ ... وَأَيْنَ عَادٌ وَشَدَّادٌ وَقَحْطَانُ

أَتَى عَلَى الْكُلِّ أَمْرٌ لَا مَرَدَّ لَهُ ... حَتَّى قَضَوْا فَكَأَنَّ الْكُلَّ مَا كَانُوا

وَصَارَ مَا كَانَ مِنْ مُلْكٍ وَمِنْ مَلِكٍ ... كَمَا حَكَى عَنْ خَيَالِ الطَّيْفِ وَسْنَانُ

دَارَ الزَّمَانُ عَلَى «دَارَا» وَقَاتِلِهِ ... وَأَمَّ[1] كِسْرَى فَمَا آوَاهُ إِيوَانُ

كَأَنَّمَا الصَّعْبُ لَمْ يَسْهُلْ لَهُ سَبَبٌ ... يَوْمًا وَلَمْ يَمْلِكِ الدُّنْيَا سُلَيْمَانُ

فَجَائِعُ الدَّهْرِ أَنْوَاعٌ مُنَوَّعَةٌ ... وَلِلزَّمَانِ مَسَرَّاتٌ وَأَحْزَانُ

وَلِلْمَصَائِبِ سُلْوَانٌ يُهَوِّنُهَا ... وَمَا لِمَا حَلَّ بِالإِسْلَامِ سُلْوَانُ

دَهَى الْجَزِيرَةَ أَمْرٌ لَا عَزَاءَ لَهُ ... هَوَى لَهُ أُحُدٌ وَانْهَدَّ ثَهْلَانُ

أَصَابَهَا الْعَيْنُ فِي الإِسْلَامِ فَارْتَزَأَتْ[2] ... حَتَّى خَلَتْ مِنْهُ أَقْطَارٌ وَبُلْدَانُ

فَاسْأَلْ «بَلَنْسِيَةً» مَا شَأْنُ «مُرْسِيَةٍ» ... وَأَيْنَ «قُرْطُبَةٌ» أَمْ أَيْنَ «جَيَّانُ»

وَأَيْنَ «حِمْصٌ» وَمَا تَحْوِيهِ مِنْ نُزَهٍ ... وَنَهْرُهَا الْعَذْبُ فَيَّاضٌ وَمَلْآنُ

كَذَا «طُلَيْطِلَةٌ» دَارُ الْعُلُومِ فَكَمْ ... مِنْ عَالِمٍ قَدْ سَمَا فِيهَا لَهُ شَانُ

وَأَيْنَ «غِرْنَاطَةٌ» دَارُ الْجِهَادِ وَكَمْ ... أُسْدٌ بِهَا وَهُمُ فِي الْحَرْبِ عِقْبَانُ

وَأَيْنَ حَمْرَاؤُهَا الْعَلْيَا وَزُخْرُفُهَا ... كَأَنَّهَا مِنْ جِنَانِ الْخُلْدِ عَدْنَانُ

قَوَاعِدٌ كُنَّ أَرْكَانَ الْبِلَادِ فَمَا ... عَسَى الْبَقَاءُ إِذَا لَمْ تَبْقَ أَرْكَانُ

وَالْمَاءُ يَجْرِي بِسَاحَاتِ الْقُصُورِ بِهَا ... قَدْ حَفَّ جَدْوَلَهَا زَهْرٌ وَرَيْحَانُ

وَنَهْرُهَا الْعَذْبُ يَحْكِي فِي تَسَلْسُلِهِ ... سُيُوفَ هِنْدٍ لَهَا فِي الْجَوِّ لَمَعَانُ

---

(١) أَمَّ: قَصَدَ.

(٢) ارتزأت: ارتزأ الشيء: انتقص.

وَأَيْنَ جَامِعُهَا الْمَشْهُورُ كَمْ تُلِيَتْ … فِي كُلِّ وَقْتٍ بِهِ آيٌ وَفُرْقَانُ
وَعَالِمٌ كَانَ فِيهِ لِلْجَهُولِ هُدًى … مُدَرِّسٌ وَلَهُ فِي الْعِلْمِ تِبْيَانُ
وَعَابِدٌ خَاضِعٌ لِلَّهِ مُبْتَهِلٌ … وَالدَّمْعُ مِنْهُ عَلَى الْخَدَّيْنِ طُوفَانُ
وَأَيْنَ «مَالِقَةُ» مَرْسَى الْمَرَاكِبِ كَمْ … أَرْسَتْ بِسَاحَتِهَا فُلْكٌ وَغُرْبَانُ
وَكَمْ بِدَاخِلِهَا مِنْ شَاعِرٍ فَطِنٍ … وَذِي فُنُونٍ لَهُ حِذْقٌ وَتِبْيَانُ
وَكَمْ بِخَارِجِهَا مِنْ مَنْزَهٍ فَرِجٍ … وَجَنَّةٍ حَوْلَهَا نَهْرٌ وَبُسْتَانُ
وَأَيْنَ جَارَتُهَا «الزَّهْرَا» وَقُبَّتُهَا … وَأَيْنَ يَا قَوْمُ أَبْطَالٌ وَفُرْسَانُ
وَأَيْنَ «بَسْطَةٌ» دَارُ الزَّعْفَرَانِ فَهَلْ … رَأَى شَبِيهًا لَهَا فِي الْحُسْنِ إِنْسَانُ
وَكَمْ شُجَاعٍ زَعِيمٍ فِي الْوَغَى بَطَلٍ … تَبْكِيهِ مِنْ أَرْضِهِ أَهْلٌ وَوِلْدَانُ
وَ«وَادِيَا» مَنْ غَدَتْ بِالْكُفْرِ عَامِرَةً … وَرَدَّ تَوْحِيدَهَا شِرْكٌ وَطُغْيَانُ
كَذَا «الْمَرِيَّةُ» دَارُ الصَّالِحِينَ فَكَمْ … قُطْبٍ بِهَا عَلَمٌ بَحْرٌ لَهُ شَانُ
تَبْكِي الْحَنِيفِيَّةُ الْبَيْضَاءُ مِنْ أَسَفٍ … كَمَا بَكَى لِفِرَاقِ الْإِلْفِ هَيْمَانُ
حَتَّى الْمَحَارِيبُ تَبْكِي وَهْيَ جَامِدَةٌ … حَتَّى الْمَنَابِرُ تَبْكِي وَهْيَ عِيدَانُ
عَلَى دِيَارٍ مِنَ الإِسْلامِ خَالِيَةٍ … قَدْ أَقْفَرَتْ وَلَهَا بِالْكُفْرِ عُمْرَانُ
حَيْثُ الْمَسَاجِدُ قَدْ أَمْسَتْ كَنَائِسَ مَا … فِيهِنَّ إِلَّا نَوَاقِيسٌ وَصُلْبَانُ
يَا غَافِلاً وَلَهُ فِي الدَّهْرِ مَوْعِظَةٌ … إِنْ كُنْتَ فِي سِنَةٍ فَالدَّهْرُ يَقْظَانُ
وَمَاشِيًا مَرِحًا يُلْهِيهِ مَوْطِنُهُ … أَبَعْدَ «حِمْصٍ» تَغُرُّ الْمَرْءَ أَوْطَانُ
تِلْكَ الْمُصِيبَةُ أَنْسَتْ مَا تَقَدَّمَهَا … وَمَا لَهَا مَعْ طَوِيلِ الدَّهْرِ نِسْيَانُ
يَا رَاكِبِينَ عِتَاقَ الْخَيْلِ ضَامِرَةً … كَأَنَّهَا فِي مَجَالِ السَّبْقِ عُقْبَانُ
وَحَامِلِينَ سُيُوفَ الْهِنْدِ مُرْهَفَةً … كَأَنَّهَا فِي ظَلَامِ اللَّيْلِ نِيرَانُ
وَرَاتِعِينَ وَرَاءَ النَّهْرِ فِي دَعَةٍ … لَهُمْ بِأَوْطَانِهِمْ عِزٌّ وَسُلْطَانُ
أَعِنْدَكُمْ نَبَأٌ مِنْ أَمْرِ أَنْدَلُسٍ … فَقَدْ سَرَى بِحَدِيثِ الْقَوْمِ رُكْبَانُ

كَمْ يَسْتَغِيثُ صَنَادِيدُ الرِّجَالِ وَهُمْ أَسْرَى وَقَتْلَى فَلَا يَهْتَزُّ إِنْسَانُ
مَاذَا التَّقَاطُعُ فِي الإِسلام بَيْنَكُمُ وَأَنْتُمُ يَا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانُ
أَلَا نُفُوسٌ أَبِيَّاتٌ لَهَا هِمَمٌ أَمَا عَلَى الْخَيْرِ أَنْصَارٌ وَأَعْوَانُ
يَا مَنْ لِنُصْرَةِ قَوْمٍ قَسَّمُوا فِرَقًا سَطَا عَلَيْهِمْ بِهَا كُفْرٌ وَطُغْيَانُ
بِالْأَمْسِ كَانُوا مُلُوكًا فِي مَنَازِلِهِمْ وَالْيَوْمَ هُمْ فِي قُيُودِ الْكُفْرِ عُبْدَانُ
فَلَوْ تَرَاهُمْ حَيَارَى لَا دَلِيلَ لَهُمْ عَلَيْهِمُ مِنْ ثِيَابِ الذُّلِّ أَلْوَانُ
فَلَوْ رَأَيْتَ بُكَاهُمْ عِنْدَ بَيْعِهُمُ لَهَالَكَ الْأَمْرُ وَاسْتَهْوَتْكَ أَحْزَانُ
يَا رُبَّ أُمٍّ وَطِفْلٍ حِيلَ بَيْنَهُمَا كَمَا تُفَرَّقُ أَرْوَاحٌ وَأَبْدَانُ
وَطِفْلَةٍ مِثْلَ حُسْنِ الشَّمْسِ إِذْ طَلَعَتْ كَأَنَّمَا هِيَ يَاقُوتٌ وَمَرْجَانُ
يَقُودُهَا الْعِلْجُ لِلْمَكْرُوهِ مُكْرَهَةً وَالْعَيْنُ بَاكِيَةٌ وَالْقَلْبُ حَيْرَانُ
لِمِثْلِ هَذَا يَذُوبُ الْقَلْبُ مِنْ كَمَدٍ إِنْ كَانَ فِي الْقَلْبِ إِسْلَامٌ وَإِيمَانُ
هَلْ لِلْجِهَادِ بِهَا مِنْ طَالِبٍ فَلَقَدْ تَزَخْرَفَتْ جَنَّةُ الْمَأْوَى لَهَا شَانُ
وَأَشْرَفَ الْحُورُ وَالْوِلْدَانُ مِنْ غُرَفٍ فَازَتْ وَرَبِّي بِهَذَا الْخَيْرِ شُجْعَانُ
ثُمَّ الصَّلَاةُ عَلَى الْمُخْتَارِ مِنْ مُضَرٍ مَا هَبَّ رِيحُ الصَّبَا وَاهْتَزَّ أَغْصَانُ

❊ ❊ ❊

٢٠ـ طلبًا للدرجات العلى من الجنة:

إِذَا غَامَرْتَ فِي شَرَفٍ مَرُومِ فَلَا تَقْنَعْ بِمَا دُونَ النُّجُومِ
فَطَعْمُ الْمَوْتِ فِي أَمْرٍ حَقِيرٍ كَطَعْمِ الْمَوْتِ فِي أَمْرٍ عَظِيمِ
يَرَى الْجُبَنَاءُ أَنَّ الْجُبْنَ عَقْلٌ وَتِلْكَ خَدِيعَةُ الطَّبْعِ اللَّئِيمِ

إنها الجنة التي غرس غراسها الرحمن بيده، إنها جوار الرحمن، والنظر إلى وجه الكريم العلَّام.. إنها دار الطيبين، ورفقة الملائكة والنبيين، والفوز بالحور العين، إنها

الظل الظليل، إنها العيش الهني، إنها السدر المخضود، والطلح المنضود، والماء المسكوب.

ألا من مشمر لها وهي ريحانة تهتز، ونهر مطرد، وغناء الحور العين، وتمجيد داود صاحب المزامير لربه الكريم.

فَحَيَّ عَلَى جَنَّاتِ عَدْنٍ فَإِنَّهَا مَنَازِلُك الْأُولَى وَفِيهَا الْمُخَيَّمُ
وَلَكِنَّنا سَبْيُ الْعَدُوِّ فَهَلْ تَرَى نَعُودُ إِلَى أَوْطَانِنَا أَوْنَسْلَمُ

٢١- طلبًا للشهادة، وهذا بيت القصيدة:

اللهم ارزقنا الصدق في طلبها.. اللهم يا حنان يا منان يا ذا الجلال والإكرام مُنَّ عليَّ بأفضل الشهادة في سبيلك، واحشرني إليك من بطون السباع وحواصل الطيور، وارزق أولادي وبناتي أفضل الشهادة في سبيلك.. فالموت في سبيلك وإعلاء كلمتك في الأرض أعظم ميلاد.

يقول سلطان العلماء عِز الدين بن عبدالسلام عن الشهداء: «أحيا القتلى فيه بعد مماتهم، وعوَّضهم عن حياتهم التي بذلوها لأجله بحياة سرمدية، لا يصفها الواصفون، ولا يعرفها العارفون.

وكذلك لما فارقوا الأهل والأوطان أسكنهم في جواره، وآنسهم بقربه بدلًا من أُنس من فارقوه من أحبائهم لأجله. فطوبى لمن حَصَل على هذا الأجر الجزيل في جوار الرب الجليل»(١).

٢٢- الحصول على الغنائم والسبي، وإن لها لموقعًا في النفس البشرية:

فَلَيْتَهُم إِذْ لَمْ يَذُودُوا حِمْيَةً عَنِ الدِّينِ ضَنُّوا غَيْرَةً بِالْمَحَارِمْ
وَإِنْ زَهِدُوا فِي الْأَجْرِ إِذْ حَمِيَ الْوَغَى فَهَلَّا أَتَوْهُ رَغْبَةً فِي الْمَغَانِمْ

---

(١) أحكام الجهاد وفضائله، للإمام عبدالعزيز بن عبدالسلام ص (٥٣)، دار الوفاء.

ولذلك كان ﷺ يعطي القاتل سلب المقتول، وينفل جزءًا من الغنيمة لبعض الجيش إذا قاموا بعمل حربي بمفردهم. وقال لبعض أصحابه لما بلغه خبر عير أبي سفيان راجعة من الشام: «**هذه عير قريش فيها أموالهم، فأخرجوا إليها لعل اللَّه ينفلكموها**»[1].

وقال ﷺ حين خروجه من المدينة قاصدًا التعرض لعير قريش: «**اللهم إنهم حفاة فاحملهم. اللهم إنهم عراة فاكسهم. اللهم إنهم جياع فأشبعهم**»[2].

وقال القرطبي «ودل خروج النبي ﷺ ليلقى العير على جواز النفير للغنيمة؛ لأنها كسب حلال، وهو يرد ما كره مالك من ذلك إذ قال: ذلك قتال على الدنيا.

وما جاء أن من قاتل لتكون كلمة اللَّه هي العليا فهو في سبيل اللَّه دون من يقاتل للغنيمة يراد به إذا كان قصده وحده وليس للدين فيه حظ[3].

وقال ـ أيضًا ـ: «ثم قيل: الأسباب التي يطلب بها الرزق ستة أنواع أعلاها كسب نبينا محمد ﷺ قال: «**جُعِلَ رزقي تحت ظل رمحي، وجُعِلَ الذلة والصغار على من خالف أمري**» [أخرجه الترمذي وصححه]، فجعل اللَّه رزق نبيه ﷺ في كسبه؛ لفضله، وخصه بأفضل أنواع الكسب وهو أخذ الغلبة والقهر؛ لشرفه»[4].

وقال الشوكاني: «قال ابن أبي جمرة: ذهب المحققون إلى أنه إذا كان الباعث الأول إعلاء كلمة اللَّه لم يضره ما ينضاف إليه»[5].

وبهذا يظهر ـ واللَّه أعلم ـ أن قصد الغنيمة يكون من أهداف الجهاد التابعة لا الأصلية، والذي لا يجاهد إلا للغنيمة فلا خير في جهاده؛ لأن الهدف الأصلي

---

(١) البداية والنهاية (٣/٢٥٦).
(٢) سلسلة الأحاديث الصحيحة، للألباني، المجلد الثالث، رقم الحديث (١٠٠٣).
(٣) تفسير القرطبي (٧: ٣٧٦).
(٤) تفسير القرطبي (٨: ١٠٨).
(٥) نيل الأوطار، للشوكاني (٧: ٢٤٤).

للجهاد هو إعلاء كلمة اللَّه وخفض كلمة الطاغوت ومد سلطان اللَّه على الأرض، فإذا قصد المسلم بجهاده هذا ثم اشتاقت نفسه ورغبت في الحصول على غنيمة من الكفار بعد كسر شوكتهم والاستيلاء عليهم فلا حرج في ذلك إن شاء اللَّه - تَعَالَى -.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال: **«تكفَّل اللَّه لمن جاهد في سبيله، لا يُخرجه إلا الجهادُ في سبيله وتصديق كلماته، بأن يُدخله الجنة، أو يرجعه إلى مسكنه الذي خرج منه مع ما نال من أجر أو غنيمة»**(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال: **«إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده، والذي نفسي بيده لتُنفقنَّ كنوزهما في سبيل الله»**(٢).

٢٣- المجاهد في ضمان الله:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«ثلاثة في ضمان اللَّه عز وجل: رجل خرج إلى مسجد من مساجد اللَّه عز وجل ورجل خرج غازيًا في سبيل اللَّه - تَعَالَى -، ورجل خرج حاجًّا»**(٣).

وقال رسول اللَّه ﷺ: **«ثلاثة كلهم ضامن على الله: رجل خرج غازيًا في سبيل اللَّه فهو ضامن على اللَّه حتى يتوفاه فيدخله الجنة، أو يرده بما نال من أجر أو غنيمة، ورجل راح إلى المسجد فهو ضامن على اللَّه حتى يتوفاه فيدخله الجنة أو يردَّه بما نال من أجر، ورجل دخل بيته بسلام فهو ضامن على الله»**(٤).

---

(١) أخرجه البخاري (٣١٢٣)، ومسلم (١٨٧٦).

(٢) أخرجه البخاري (٣١٢٠).

(٣) **صحيح**: أخرجه أبو نعيم في «الحلية»، وَصَحَّحَهُ الألباني في «الصحيحة» (٥٩٨)، و«صحيح الجامع» رقم (٣٠٥١).

(٤) **صحيح**: أخرجه أبو داود، وابن حبان، والحاكم عن أبي أمامة، وَصَحَّحَهُ الألباني في «صحيح الجامع» برقم (٣٠٥٣).

٢٤ـ المجاهدون وفد الله يستجيب دعاءهم ويتولاهم بعنايته:

عن ابن عمر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - عن النبي ﷺ قال: «**الغازي في سبيل الله** ﷻ، والحاج، والمعتمر، وفد الله دعاهم فأجابوه، وسألوه فأعطاهم»(١).

عن عبدالرحمن بن زيد بن أسلم قال: خرج قوم غزاة، ومعهم محمد بن المنكدر، وبينما هم يسيرون قال رجل منهم: أشتهي جبنًا طريًّا!

قال محمد بن المنكدر: استطعموا اللَّه يطعمكم، فإنه القادر على كل شيء، فدعا القوم، فلم يسيروا إلا قليلًا حتى وجدوا مِكْتلا مخيطًا، فإذا فيه جبن طري! فقال بعض القوم: لو كان عسلًا؟

فقال محمد بن المنكدر: إن الذي أطعمكم جبنًا هاهنا، قادر على أن يطعمكم عسلًا، فاستطعموه يطعمكم!

فدعا القوم فساروا قليلًا، فوجدوا وعاء عسل على الطريق! فأكلوا الجبن والعسل، وتابعوا سيرهم للغزو»(٢).

والمجاهد مسافر في سبيل الله، والمسافر لا ترد دعوته، فما ظنك إذا كان هذا السفر أفضل سفر.

دَعْنَا نُسَافِرُ فِي دُرُوبِ جِهَادِنَا ... وَلَنَا مِنَ الْهِمَمِ الْعَظِيمَةِ زَادُ

دَعْنَا نَمُتْ حَتَّى نَنَالَ شَهَادَةً ... فَالْمَوْتُ فِي دَرْبِ الْهُدَى مِيلَادُ

٢٥ـ الجهاد رفعة للأمة:

طبيعة المجتمعات كالماء تماما، ففي الماء الراكد تطفو على السطح الطحالب والأعفان، أما الماء المتحرك فلا يحمل العفن فوقه.

---

(١) **صحيح**: أخرجه ابن ماجة (٢٨٩٣) وابن حبان، والطبراني في «الكبير»، وَصَحَّحَهُ الألباني في «الصحيحة» رقم (١٨٢٠)، و«صحيح الجامع» رقم (٤١٧١).

(٢) كتاب مجابي الدعوة، لابن أبي الدنيا ص (٧١، ٧٢).

والجهاد بطول طريقه، ومرارة معاناته، وضخامة تضحياته، وفداحة أرزائه يصفِّي النفوس فتعلو على واقع الأرض الهابط، وترتفع الاهتمامات عن الخصومة الصغيرة وعن الأعراض القريبة وسفساف المتاع، يزيل الأحقاد، ويصقل الأرواح، وتسير القافلة صعدًا من السفح الهابط إلى القمة السامقة بعيدًا عن نتن الطين وصراع الغابات.

«لا بد للمجتمع الإسلامي من ميلاد، ولا بد للميلاد من مخاض، ولا بد للمخاض من آلام».

إن الجهاد يمحو الترهل من حياة الأمة، ويذيب مظاهر البذخ والترف التي تستعبد الشعوب الراكدة.

ذُرْوَةُ الدِّينِ جِهَادٌ فِي الصَّمِيمْ فَلْنُجَاهِدْ أَوْ لِتَلْفُظْنَا الْحَيَاةْ

إما جهاد وتعاهد على إرخاص قطرات الدم، وإما أن تلفظهم الحياة، ويستبدل اللَّه ـ تَعَالَى ـ بهم آخرين... أذلة على المؤمنين، أعزة على الكافرين ـ يجاهدون في سبيل الله، ولا يخافون لومة لائم، ولا يغريهم جمال نساء ومال، ولا يرهبهم طغيان طاغية، واستئساد جاهلية.

نعم.. هذا أو لقب ذي العقل المستريح

نعم... وإلا فإنها الترهات[1]

٢٦ـ تحريم المجاهد الذي اغبرَّت قدماه في سبيل اللَّه على النار:

قال رسول اللَّه ﷺ: **«من اغبرت قدماه في سبيل اللَّه حرَّمه اللَّه على النار»**[2].

٢٧ـ نكتب هذا خوفًا من النار واتقاء لغضب القوي الجبَّار:

أيُّ وعيد أشد من النار، أيُّ خزي أعظم ووبال أليم أشد من عذاب المتخلفين

(١) «المنطلق»، لمحمد أحمد الراشد ص (٢٣٤)، مؤسسة الرسالة.

(٢) أخرجه البخاري رقم (٩٠٧).

عن الجهاد القاعدين عنه.

﴿إِلَّا تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ [التوبة: ٣٩].

قال ابن العربي: العذاب الأليم هو في الدنيا باستيلاء العدو، وبالنار في الآخرة[١].

ويقول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُولَٰئِكَ عَسَى اللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾﴾ [النساء: ٩٧- ٩٩].

روى البخاري بإسناده عن عكرمة: أخبرني ابن عباس: أن أناسًا من المسلمين كانوا مع المشركين يكثرون سواد المشركين على عهد رسول الله ﷺ يأتي السهم، فيرمي به فيصيب أحدهم فيقتله، أو يضرب فيقتل، فأنزل الله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ﴾.

فإذا كان المؤمنون في مكة ـ القابضون على دينهم كالجمر، ولم يهاجروا، وخرجوا حياءً وخوفًا من الكفار يوم «بدر»، فكثروا سواد المشركين[٢]، ثم قتل بعضهم ـ قد استحقوا جهنم برواية البخاري، فما بالك بالملايين من المسلمين الذين يسامون سوء العذاب، ويعيشون حياة دون حياة السوائم، ولا يملكون أن يردُّوا عاديةً عن أعراضهم أو دمائهم أو أموالهم.

حياة والله ذليلة مهينة مستضعفة، وتتوفاها الملائكة ظالمة لأنفسها.

---

(١) تفسير القرطبي (١٤٢/٨).

(٢) سواد المشركين: عددهم

سَأَصْرِفُ وَجْهِي عَنْ بِلَادٍ غَدَا بِهَا لَسَانِي مَعْقُولاً وَقَلْبِي مُقْفَلاً

٢٨ـ رفضًا للواقع البائس المرير.. رفضًا لهزيمة المسلمين:

قالها سالم مولى أبي حذيفة: «**بئس حامل القرآن إذن أنا**»؛ يعني: إن فرَّ. ونقولها نحن بملء الفم.

سَيَأْخُذُ ثَأْرَ اللَّهِ أَنْصَارُ دِينِهِ فَلِلَّهِ أَوْسٌ آخَرُونَ وَخَزْرَجُ

بئس حملة القرآن نحن إن قبلنا الذل والهوان، وهزيمة المسلمين على يد المغضوب عليهم والضالين.

وعن عطية بن أبي عطية ـ رحمه اللَّه ـ: أنه رأى عبداللَّه بن أم مكتوم رضي الله عنه يومًا من أيام القادسية وعليه دروع سابغة يجرها في الصف في ميدان الجهاد[١]. كان ابن أم مكتوم رضي الله عنه أعمى، ولقد أعذره الله، ولكنه خرج للجهاد واشترك في معركة القادسية، وحمل اللواء فيها واستشهد...

هذا أبصر من قومنا مَن عميت بصيرتهم.. أما ابن أم مكتوم فإنا

نَرَاهُ كَالضَّوْءِ يَسْرِي فِي مَحَاجِرِنَا فَلَا تَرَاهُ عُيُونُ الْأَجْلَفِ الْقَالِي

عن ابن شهاب الزهري قال: خرج سعيد بن المسيب ـ رحمه اللَّه ـ إلى الغزو، وقد سقطت إحدى عينيه! فقيل له: إنك عليل!

فقال: قد استنفر اللَّه الخفيف والثقيل، فإن لم أتمكن من الحرب والقتال كثَّرت عدد المسلمين وسوادهم وحفظت المتاع![٢]

نرفض واقعنا.. ونرفض ذل الهزيمة:

.. أرفُضُ أنْ أتَوَهَّمَ نعشَ خيالٍ،

.. عبَرَتْ فيه!

---

(١) الجهاد، لعبد الله بن المبارك (١/١١٩).

(٢) تفسير الطبري (١٠/٩٨).

.. أَرفضُ.. خطوَ العُمْر،
إذا لم تُصبحْ عدمًا، لا يدْريهْ!
ترفض روحي، كلَّ رُؤاها
يرفضُ زَمني، أنْ يحياها
يرفضُ صمتي، همسَ صداها
يرفضُ غضبُ الثأر سُراها
.. يرفض وهْمي أن يتمثَّلَ،
طيفَ أسًى منها يُخزيهْ!
.. يرفضُ أنْ يلقاها شبَحًا،
ريحُ اللَّعنةِ لا تطْويه!
يرفضُ وتَري أنْ يعزفَها
يرفضُ خَلَدِي أنْ يعرفها
أرفضُ أنْ أتوهَّمَ نعشَ خيال عبَرتْ فيه!!
ترفُضُ مِثْلي..
.. أرْض سمعت نجوى اللَّه على شَفَتَيْها
أصغَتْ، ورنَتْ،
ثم أضاءتْ حَلَكَ الدنيا، من خَدَّيْها
تم تهادَى خطْوُ الرُّسُلِ،
يُدَفِّقُ نورًا بينْ يدَيْها
عانقَ فيها كُلُّ نبيٍّ مر أخاهْ..
وغدتْ كلُّ حصاةٍ فيها، قُدْسَ صَلاهْ..
حين أتاها حادي النورِ،

يَشُقُّ ضُحاهْ..
.. فوق سفينٍ، عبرتْ لُجَّ الْغيبِ،
وطارتْ دون شراعْ،
غير نداء الأفُق الأعلَى
سبَّح في يُمناه شعاعْ..
فدنا منه، وشرب الحقَّ من الآياتْ
ومضَى يُنقِذُ وجه الأرض من الظلُماتْ
كلُّ ظلامٍ مرَّ عليه، توهَّج نورًا منه وذابْ
غيرَ وُجوه أبت اللعنةُ ملء دُجاها أن تنسابْ
حملتْ حقدَ الكونِ وسارتْ
تَئِدُ الطهْرَ بكل ترابْ
ثم رماها التِّيهُ..
فألقَتْ عَارَ خُطاها في المحرابْ!
مهما نهَبَتْ مِني،مهما،
بنْتُ الغدر.. ولا أرْوِيه!
أرفضُ.. أن أتوهَّم نعش خيالِ عبرتْ فيهْ!!

* * *

أرفُضُ.. نورَ الشمسِ،
إذا أحْلامي لم تقْطِفْهُ شرَارْ
وتجرِّعهُ غضبَ الْعزَّة،
وتُلَقِّنُهُ حقدَ الثَّارْ..

وتجسِّدُهُ فوق سَماها،
بغْتَة هولٍ، في إعصارْ..
كلُّ زمانِي فيه يَدُورْ
كلُّ وُجودي فيه عبورْ
كُلُّ دروبي فيه سَعيرْ
كلُّ كياني فيه أسيرْ..
كلُّ الماضي..
كلُّ الآتي..
كلُّ حياتي قَيْدَ خُطاهْ..
.. حتى يسَحَقَ هذا الليلَ،
ويُهْلِكَ في جنبيَّ دُجاهْ!
.. حتَّى يورقَ في مَسْراه،
صوتٌ، كُبِّلَ فيه صَداه،
في مئذنَةٍ،..
وقفتْ تَجْأَرُ في الظلماتِ بِلا كَفَّيْنْ
لا تَسْبيحَ،
ولا ترتيل، يعجُّ به ثاني الحرَمَيْنْ
ذُبحَ النورُ عليه،
وعاد رُفاتَ دعاءٍ من شفَتَيْنْ
وغدا الرِّجسُ،
يدوسُ ثراهُ، وينهش فيه بالقدمَيْنْ
.. مهما دَنَّس بَاغٍ فيهْ؛

مهما فَجَرَت أُمُّ التيه،
أرفُضُ.. حتى أن أتوهَّمَ نَعْشَ خيالٍ..
.. عبَرَتْ فيه!!

❊ ❊ ❊

يرفُضُ شيْءٌ..
ظلَّ يغَنِّي فوق جبيني طولَ العُمْرْ
ذوَّبَ كِبْرَ الشمسِ، وذاب،
فأنْبَتَ فيه إِباءَ الدهْرْ
لمعَ النَّجْمُ، وشابَ سَناهُ،
وكل شعاعٍ منْه يمر...
خلقَتْ منه صَلاةُ البيدْ
أَلْفَ لهَاةٍ، أَلْفَ قصيدْ
تُبْدِئُ منه، ثم تُعيدْ
هب العزَّةِ في التَّغريدْ!!
شيء.. منه انتفَض الأمْسُ،
وشقَّ حشايَ على سِكِّينْ
وأتى يَزْأَرُ في شفَتَيْهِ،
قسَمُ الثأر بألف يمينْ:
.. لَنْ أتركها، وخزَةَ عارٍ فيَّ لعينْ!!
لن أتركها.. يُطرق منها أيُّ جبينْ!!
ترفض أرضي..

ترفض عِرْضي..
يرفضُ كبْرٌ فيَّ طعينْ!!
يرفض وَجْهي
يرفض لهبٌ تحت جراح القلب دفينْ!!
يرفض كلُّ وجودٍ حَوْلي،
كلُّ حراكٍ، كل سكونْ!!
يرفض أن يحياها يأسا
لم تسحقه رياح يقين
حتى يصْعَقَ يومُ الثارِ،
خُطاها السُّودَ بكل بنيهْ!
حتى ينْفُضَ حقدُ الرَّمْل،
صداها الآثمَ من أيديهْ...
حتَّى يرفعَ وجهُ القُدْسِ،
أذانَ النَّصْر إلى حاميهْ..
.. أرفُضُ!!
.. حتى أنْ أتَوهَّمَ نعش خيالٍ
.. عبرَتْ فيهْ!![1]

٢٩ـ أمر الإسلام قائم بالكتاب.. والبأس الشديد.

كلام مقدس قاله اللَّه ـ تَعَالَى ـ، محكم غير متشابه، ماض غير منسوخ، أراده ـ عزَّت إرادته ـ أن يكون للدعوة الإسلامية شعارًا، ودستور عمل، ومعلم طريق،

(١) قصيدة «رقص الهزيمة»، لمحمود حسن إسماعيل ص (١٤٨٧ ـ ١٤٩٤) من «الأعمال الكاملة، لمحمود حسن إسماعيل» مع تغيير لبعض الكلمات التي تخالف العقيدة السلفية.

فجعله ـ جلَّ وعلا ـ في آية يتلوها الملايين كل يوم: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾﴾ [الحديد: ٢٥].

فكل قلب أُحكمت أقطاره ولم تتشابه، ومضت إلى الخير عزيمته ولم تنسخ فَهِمَ هَذِهِ الْآيَةَ فَهْمَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَهَا.

فهمها أبو بكر رضي الله عنه، فكانت حروب الردة.

وفهمها عمر الفاروق رضي الله عنه، المشتق لقبه من أسماء السيف، فكان منه الإقرار لمن لوح له بالسيف أداة تقويم إن زاغ واتبع الهوى.

وتواصت أجيال المسلمين بعدهما بهذا السلوك، وتواصت بالقرآن، فبعدوا عن الخسران.

حتى إذا خسروا، وفق اللَّه ابن تيمية ـ رحمه اللَّه ـ يتلو عليهم هذه الآية، ويفسرها، ويقول لهم: «ذكر ـ تَعَالَى ـ أنه أنزل الكتاب والميزان، وأنه أنزل الحديد؛ لأجل القيام بالقسط، وليعلم اللَّه من ينصره ورسله، ولهذا كان قوام الدين بكتاب يهدي، وسيف ينصر، وكفى بربك هاديًا ونصيرًا»(١).

ويؤكد لهم أنه «إذا ظهر العلم بالكتاب والسنة، وكان السيف تابعًا لذلك، كان أمر الإسلام قائمًا»(٢).

عن خالد بن الوليد رضي الله عنه قال: «**ما ليلة تهدى إليَّ فيها عروس أنا لها محب، أو أبشر فيها بغلام أحب إليَّ من ليلة شديدة البرد كثيرة الجليد أُصبِّح فيها العدو، فعليكم بالجهاد**»(٣).

---

(١)، (٢) مجموع فتاوى ابن تيمية (١٣/١٠) (٣٩٣/٢٠).
(٣) المصنف، لابن أبي شيبة (٣١٧/٥، ٣١٨).

❑ الجهاد ماضٍ إلى يوم القيامة

«إذا كانت هذه هي معظم أهداف الجهاد ومقاصده، فما الغاية التي يتوقف عندها الجهاد؟

إن الغاية التي يتوقف عندها الجهاد هي إسلام أهل الأرض كلهم، واعتناقهم عقيدة الإسلام، من غير أهل الكتاب والمجوس. أما أهل الكتاب والمجوس، فإذا دفعوا الجزية ملتزمين لأحكام الإسلام القضائية حال كونهم في ذل وصغار فإن المسلمين يوقفون جهادهم، ويكفون عنهم، ويحمونهم من عدوهم.

ولن يتوقف الجهاد الإسلامي مدى الحياة؛ لأن الشيطان مستمر في إغواء بعض البشر، والصراع بين الحق والباطل سنة إلهية لا تنتهي حتى ينتهي وجود البشر في هذه الأرض.

فعن جبير بن نفير أن سلمة بن نفيل أخبرهم أنه أتى النبي ﷺ فقال: إني سئمت الخيل، وألقيت السلاح، ووضعت الحرب أوزارها، قلت: لا قتال. فقال النبي ﷺ: **«الآن جاء القتال، لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الناس، يزيغ الله قلوب أقوام فيقاتلونهم، ويرزقهم الله منهم حتى يأتي أمر الله عز وجل وهم على ذلك، ألا إن عقر دار المؤمنين الشام، والخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة»**[1].

وقال ﷺ: **«من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين، ولا تزال عصابة من المسلمين يقاتلون على الحق ظاهرين على من ناوأهم إلى يوم القيامة»**[2].

وقال البخاري ـ رحمه الله ـ في صحيحه: باب الجهاد ماض مع البر والفاجر؛ لقول النبي ﷺ: **«الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة»**. قال ابن حجر في شرحه لهذه الترجمة: «**سبقه إلى الاستدلال بهذا الإمام أحمد؛ لأنه** ﷺ ذكر بقاء الخير في نواصي الخيل إلى يوم القيامة، وفسره بالأجر والمغنم، والمغنم المقترن بالأجر

---

(١) **صحيح**: مسند أحمد (٤/١٠٤) وسيأتي تخريجه.

(٢) مسند أحمد (٤/٩٣) وهو في الصحيحين.

إنما يكون من الخيل بالجهاد، ولم يقيد ذلك بما إذا كان الإمام عادلًا، فدل على أن لا فرق في حصول هذا الفضل بين أن يكون الغزو مع الإمام العادل أو الجائر»[(١)].

وبهذا يظهر أن الجهاد مستمر إلى قيام الساعة، وأنه لا ينتهي جهاد الكفار إلا إذا أسلموا أو خضعوا لحكم الإسلام ودفعوا الجزية حالة كونهم متلبسين بالذل والصغار»[(٢)].

٣٠- وأخيرًا: إحياءً للأمل... وما أحلى الشعر في تصوير الأمل:

نكتب عن «**فُرْسان النَّهَارِ**»؛ إحياءً للأمل في النفوس، فالمستقبل كلَّ المستقبل للإسلام، وصُمَّتْ أذن الدنيا إن لم تسمع لنا.

أكتب هذه الرسالة؛ ليكون تسكينها للقلب أعظم، وتسليتها للحزين اليائس أبلغ، ولتكون انتشالًا من وهدة، وتوجيهًا في ساعة حيرة، وأذانًا في نيام، وسلوة بين أحزان، ونبلًا عندما يسفل الواقع، وسُمُوًّا إذا نطق الإغراء، ووفاءً في ساعة النكوص، واقتحامًا في مواطن الانخزال، ودفعًا للانزواء الذي كَلْكَلَ على اليائسين القانطين، وترطيبًا للنفوس بعد اليبوسة والجفاف، وتثبيتًا لأفئدة المؤمنين، وبعثًا للأمل، وترجمانًا لأشواق الصحوة التي تسري في ضمير الأمة، كما تسري جداول المياه العذبة في الرمال العطشى.

نُنَقِّبُ في الماضي، نستخرج السوابق، وتسطر دمعاتُ القلمِ العِبَرَ من نبع الكتاب والسنة الصافي؛ لتجفَّ دمعات قلوب التائهين البائسين اليائسين القانطين، ويكون ثَمَّ ابتسام وأمل في فجرنا الآتي المضمَّخ بطيب القرآن غيث قلوبنا.

﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ [الرعد: ١٧].

يقولون: إن المطرْ

---

(١) صحيح البخاري مع الفتح (٦/٤٢).

(٢) أهمية الجهاد ص (١٨٥، ١٨٦).

يترجمُ أشواقه أنهُرا
يغوص ببطن التراب
ليسكن قلب الثرى
ويخرج ينبوع ماء نمير
يفيض نماءً
يفيض عطاءً
يعطر هام الروابي
ويبهجها منظرًا منظرَا
لقد جعل اللَّه هذا المطر
حياة لكل النفوس
مشاعًا لكل البشر
غديرًا.. لتشرب منه الزهور
لتنقر منه الطيور
لتعكس فيه الضياء البدورُ
ليملأ تلك الجداول والأنهرا
فيا مطرًا غاب عن أرضنا أدهرَا
تحنُّ إليك النفوس
ويشتاق كل الورى
تعالَ إلينا
تحنُّ إليك ضروع اليباس
تحن إليك البذور بكل التراب
وكل ربوع اليباب

لتنقذها من جيوش التراب

وتغسل بالحب وجه الثرى

* * *

أكتب هذه الرسالة ليعقل ساذج، ويتململ راقد، ويتنافس قاعد، ويتأنى متهور، ويفرح هامد يائس بائس؛ لتغمر القلبَ برودةُ السكينة بوعد الله، بعد حرارة القلق، ولذعات الحيرة، ومرارة اليأس والقنوط، وتنفرج أسارير الوجه عن ابتسام وضَّاء، بعد عبوس أو ذهول.

إن ابتسامة من يبتسم من الناس، وبثَّ الأمل لن يأتي سهلًا أبدًا في هامد قانط، والذين ما زالت أفواههم تفغر حيرة ليسوا بقادرين على تصور ابتسامة تبتسمها الصفحات، ولا على فهم دور الأقلام المؤمنة ودموعها الباسمة في وجه قلم أسود مأجور غريق، تائه لا يبدو له طريق.

فَدَعْ عَنْكَ الْكِتَابَةَ لَسْتَ مِنْهَا ... وَلَوْ لَطَّخْتَ وَجْهَكَ بِالْمِدَادِ

اللَّهم اجعل لنا نصيبًا وافرًا في جهاد المنافقين المارقين، والغلظة عليهم بهذا الأمل الذي نبثه في بني الإسلام لفجرهم المرتقب، وتثبيت أفئدة المؤمنين بتحلية حقيقة هذا الدين العظيم وشرف الانتساب إليه، وقَدْر هذه الأمة العظيمة واصطفاء اللَّه لها وكرامتها عليه.

بَنُو الْإِنْسَانِ يَنْتَظِرُونَ فَجْرًا ... بِلَيْلِ الْوَهْمِ يَخْتَرِقُ الضَّبَابَا

وَقَدْ لَاحَتْ أَشِعَّتُهُ وَضَاءً ... وَإِرْهَاصَاتُهُ انْطَلَقَتْ شِهَابَا

غَدًا تَمْشِي الشُّعُوبُ عَلَى هُدَاهُ ... وَنُورُ اللَّهِ يَحْدُوهَا رِكَابَا

أما الشانئ الأبتر، الذي يظن أن الإسلام لن تعلو له راية، ولن تشرق له شمس مرة أخرى، ولن يكون له فجر، فنقول له: «**اخْسَأْ فَلَنْ تَعْدُو قَدْرَكَ**».

ونقول له:

سَنَمْضِي وَالنُّجُومُ لَنَا دَلِيلُ مَتَى أَصْغَى السَّحَابُ إِلَى النُّبَاحْ؟
فَقَدْ وَلَّى زَمَانُكَ يَا أُبَيُّ كَمَا وَلَّى زَمَانُكَ يَا سِجَاحْ

ونقول له:

لَا تُهَيِّئْ كَفَنِي يَا عَاذِلِي فَأَنَا لِي مَعَ الْفَجْرِ مَوَاثِيقٌ وَعَهْدُ

❑ **أخي.. يا بن الإسلام:**

لا شيء في هذه الحياة يعدل ذلك الفرح الروحي الشفيف عندما نستطيع أن ندخل الثقة ونبث الأمل في نفوس المسلمين. وقد قال رسول اللَّه ﷺ: «**أحب الناس إلى اللَّه أنفعهم للناس، وأحب الأعمال إلى اللَّه ﷻ سرور تدخله على مسلم، أو تكشف عنه كُرْبة**»[1].

من يقيننا بوعد اللَّه ينبثق الفجر وينداح، نعيش لنرقب هذا الفجر الوضيء، والأفق العالي، والمثال السامي.

إن الذي يعيش لنفسه يعيش صغيرًا ويموت صغيرًا، والذي يعيش يرقب ببصر فؤاده ذلك النور فإنه يعيش كبيرًا.

عندما نعيش مع هذا الفجر، ولهذا الفجر، ولمجد بني الإسلام، فإننا نعيش حياة مضاعفة بقدر ما يتضاعف إحساسنا بالمسلمين.

عندما نعيش للإسلام فإن حياتنا تبدو طويلة عميقة، تبدأ من حيث بدأت البشرية، وتمتد بعد مفارقتنا لوجه هذه الأرض.

عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**رأيت ذات ليلة فيما يرى النائم ـ كأنا في دار عقبة بن رافع، فأُتينا برطب من رطب ابن طاب[2] فأَوَّلْتُ: الرفعة لنا في**

---

(١) **حسن**: رواه ابن أبي الدنيا في «قضاء الحوائج»، والطبراني في «المعجم الكبير» عن ابن عمر، وَحَسَّنَهُ الألباني في «السلسلة الصحيحة» رقم (٩٠٦)، و«صحيح الجامع» رقم (١٧٤).

(٢) نوع من الرطب معروف يُقَالُ له: رطب ابن طاب، وتمر ابن طاب، وابن طاب رجل من أهل المدينة.

الدنيا، والعاقبة في الآخرة، وأن ديننا قد طاب»[١].

وقال رسول اللَّه ﷺ: «**إن من الناس ناسًا مفاتيحَ للخير، مغاليقَ للشر، وإن من الناس ناسًا مفاتيحَ للشر، مغاليقَ للخير، فطوبى لمن جعل اللَّه مفاتيح الخير على يديه، وويل لمن جعل اللَّه مفاتيح الشر على يديه**»[٢].

وقال رسول اللَّه ﷺ: «**عند اللَّه خزائن الخير والشر مفاتيحها الرجال، فطوبى لمن جعله اللَّه مفتاحًا للخير، مغلاقًا للشر، وويل لمن جعله اللَّه مفتاحًا للشر مغلاقًا للخير**»[٣].

وعن أبيٍّ بن كعب قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**بشِّر هذه الأمة بالسناء والدين والرفعة والتمكين في الأرض، فمن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا؛ لم يكن له في الآخرة من نصيب**»[٤].

وعند البيهقي: «**بشِّر هذه الأمة بالتيسير والسناء والرفعة بالدين والتمكين في البلاد والنصر، فمن عمل منهم بعمل الآخرة للدنيا، فليس له في الآخرة من نصيب**».

وعن أبي عنبة الخولاني قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**لا يزال اللَّه يغرس في هذه الدين غرسًا، يستعملهم فيه بطاعته إلى يوم القيامة**»[٥].

---

(١) رواه مسلم (٢٢٧٠).

(٢) **حسن**: رواه ابن ماجه عن أنس، وَحَسَّنَهُ الألباني في «السلسلة الصحيحة» رقم (١٣٣٢)، و«صحيح الجامع» رقم (٢٢١٩).

(٣) **حسن**: رواه الطبراني في «المعجم الكبير»، والضياء في «المختارة» عن سهل بن سعد، وكذا أخرجه ابن ماجه، وأبو يعلى في «مسنده»، وابن أبي عاصم، والخرائطي، والطيالسي، والمروزي عن أنس، وَحَسَّنَهُ الألباني في «تخريج السنة» رقم (٢١٩، ٢٩٦)، و«صحيح الجامع» رقم (٣٩٨٧).

(٤) **صحيح**: رواه أحمد (١٣٤/٥)، وابن حبان في «صحيحه»، والحاكم (٣١١/٤)، وَصَحَّحَهُ، ووافقه الذهبي، ورواه البيهقي، وَصَحَّحَهُ الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (١٥/١، ١٦)، و«صحيح الجامع» رقم (٢٨٢٢)، و«أحكام الجنائز» ص (٥٢).

(٥) **حسن**: أخرجه أحمد في «مسنده»، وابن ماجه، والبخاري في «التاريخ»، وَحَسَّنَهُ الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٢٤٤٢)، و«صحيح الجامع» (٧٥٦٩).

هذا غرس الله، ومن أحسن من اللّه صبغة، ويأبى الغرس إلا طبيعته، والحمقى هم الذين يريدون أن يخرج هذا الغرس نكدًا، وكأنهم يقولون لشجر التفاح: لَا تُخْرِجْ إِلَّا حَنْظَلًا.

فَهَذَا الْغَرْسُ لَيْسَ لَهُ نَظِيرُ ... وَحَاشَا أَنْ يَكُونَ لَهُ نَظِيرُ

بِمَاءِ الذِّكْرِ يُسْقَى كُلَّ يَوْمٍ ... وَفِي أَحْضَانِهِ تَنْمُو الْبُذُورُ[1]

* * *

نعم لأمل بسَّام نعيش به، ولا للمنى فهي رءوس أموال المفاليس والنَّوْكَى[2].

أمل وضيء في وسط ظلام واقعنا الحالك، يطمئن في وسط الزلازل، وثقة لا تتزعزع في وعد الله.. نستشرف النصر من بعيد، ونراه رأي العين، ونوقن أن البشرية في طريقها إلى ربيعها المونق المزهر الذي يملأ حياتها بالعطر والدفء والنور.. ربيع الإسلام.

قال ـ تعَالَى ـ: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾﴾ [غافر: ٥١]، وقال ـ تعَالَى ـ: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ [الصافات: ١٧١- ١٧٣].

ولله دَرُّ أحمد محمد الصديق وهو يقول:

لَوْ كانَ لي عُنُقُ الأعاصيرِ التي ... تجتاحُ عندَ تحَفُّزِ البُرْكانِ

لأَتَيْتُ أَمْتَشِقُ الصَّواعِقَ مُعْلِنًا ... سَحْقَ الدُّجى وَنهايَةَ القُرْصانِ

يا أَيُّها النَّسْرُ المَشُوقُ إلى الذُّرى ... يَطْوي الفَضاءَ بلَهْفَةٍ وَحَنانِ

أَتُراكَ بَعْدَ البَيْنِ تَعْرِفُ ما الذي ... يُشْجي الفَتَى في غُرْبَةِ الأَوْطانِ؟

قُمْ وانْتَفِضْ يا ابْنَ العَلاءِ مُبَشِّرًا ... بتَفَتُّحِ النِّسْرينِ وَالرَّيْحانِ

---

(١) من قصيدة «نحن وهم» من ديوان «لأنك مسلم»، لمحمود مفلح ص (٦١).

(٢) النوكى: الحمقى.

وَلْتركَبِ الرِّيحَ الغضوبَ يَهيجُها قَدَرٌ وَيُطْلِقُها بغَيْرِ عِنانِ
وَاحْمِلْ إلى الآفاقِ مُزْعَةَ رايةٍ سَقَطَتْ وَتَأْبى ذِلَّةَ القِيعانِ
مَغْموسَةً بجِراحِنا مَنْسوجَةً مِنْ روحِنا بِالصِّدْقِ والإيمانِ
مِنْ كَهْفِنا المَقْرورِ في غَسَقِ الدُّجى مِنْ غَصَّةِ الآلامِ والأحْزانِ
مِنْ صَرْخَةِ المَوْتورِ في أحْشائِهِ حُمَمٌ تثورُ بِجاحِمِ النِّيرانِ
مِنْ دَمْعَةِ الطِّفْلِ البَريءِ تعاظَمَتْ حتَّى غَدَتْ في الأرْضِ كَالطُّوفانِ
مِنْ لَوْعَةِ الأُمِّ الرَّءومِ مَهيضَةً بالثُّكْلِ تَسْبيها يَدُ الطُّغْيانِ
وَدَمُّ الشَّهيدِ على الرُّغام مُجَدَّلًا أنفاسُهُ طُوِيَتْ بلا أَكْفانِ
مِنْ كُلِّ مَنْ ذَهَبوا سِياطُ الظُّلْمِ في أَعْقابِهِمْ وَسَلاسِلُ السَّجَّانِ
مِنْ عُمْقِ هاتيكَ الجِراحِ شُمُوسُنا وُلِدَتْ وَتُسْقى بالطَّهورِ القَاني
وَتفَتَّقَتْ خُضْرُ البَراعِمِ في الضُّحى وَتأَلَّقَتْ شُهُبًا بكُلِّ مَكانِ
وعلى مُصاوَلَةِ الخُطوبِ تَمَرَّسَتْ وَتَرَعْرَعَتْ في حَوْمَةِ المَيْدانِ
إِنَّ النُّفُوسَ إذا تَمَخَّضَ سَعْيُهَا فَثِمَارُهَا يَوْمَ الحَصَادِ دَوَانِي
قَدْ أَبْرَمَتْ بِجِهَادِهَا وَثَبَاتِهَا عَهْدًا يَدُومُ غَدًا مَعَ الرَّحْمَنِ
وَلَهَا مَعَ الأَمْجَادِ وَعْدٌ صَادِقٌ قَدْ سُطِّرَتْ بُشْرَاهُ فِي الْقُرْآنِ
وَإِذَا الرِّجَالُ عَلَى الْعَقِيدَةِ بَايَعُوا يَا صِدْقَ أَحْلَامٍ لَهُمْ وَأَمَانِي[1]

ولله دره وهو يقول:

قادِمٌ فَجْري وَمِنْ أَعْطافِهِ يَعْبِقُ الزَّهْرُ وَيَنْهَلُّ الغَمامْ
يَتَخَطَّى عَقَباتٍ كُلَّها مِحَنٌ تَتْرَى وَآلامٌ جِسامْ
إنَّهُ يَبْزُغُ مِنْ أَعْماقِنا وَالجِراحاتُ عَلى الأُفْقِ وِسامْ

(١) قصيدة «عودة النسر»، لأحمد محمد الصديق من ديوان «قادمون مع الفجر» ص (٦٨ - ٧٠) دار الضياء.

ويقول أيضًا:

يَـا رايَـةً بـالـنُّـورِ خـافِـقَـةً يَـهْـفـو إليك الـسَّـمْـعُ والـبَـصَـرُ
هَـيَّـا فـإنَّ الـدَّهْـرَ مُـرْتَـقِـبٌ وَمَـواكِـبُ الـتَّـاريـخِ تَـنْـتَـظِـرُ

❊ ❊ ❊

ولله دَرُّ محمود مفلح حين يقول:

هِي أمةٌ وَالنَّهْجُ نَهْجُ محمدٍ هَيْهَاتَ أَنْ يَرْضَوْا سِوَاهُ إِمَامَا
مُسَّتْ عَقِيدَتُهُمْ فَكَانَ دَوِيُّهُمْ كَالرَّعْدِ يَقْذِفُ عِزَّةً وَضِرَامَا
وَلَوَوْا بِجِيدِ الذِّئْبِ لَوْلَا أَنَّهُ قَدْ فَرَّ يَسْبِقُ فِي الظَّلَامِ نَعَامَا
ضَاقَتْ بِهِ الْأَرْضُ الرَّحِيبَةُ بَعْدَمَا حَمَلَتْه كُرْهًا فَوْقَهَا وَأَثَامَا
هِيَ عِزَّةُ الْإِيمَانِ فِي فَتَكَاتِهِمْ هَلَّا عَرَفْتَ الْمُسْلِمَ الْمِقْدَامَا
هَذِي سُيُوفُ الْفَاتِحِينَ وَطَالَمَا عَانَتْ سُيُوفُ الْفَاتِحِينَ صِيَامَا
هَذِي عَقِيدَتُنَا وَذَلِكَ نَهْجُنَا فَاقْرَأْ عَلَيْنَا «الْفَتْحَ» وَ«الْأَنْعَامَا»
قَدْ آنَ أَنْ تَلِدَ اللَّيَالِي مُسْلِمًا وَالْمُسْلِمُونَ يُبَايِعُونَ إِمَامَا
قَدْ آنَ أَنْ يَعْلُو النَّفِيرُ وَفِي دَمِي صَخَبُ النَّفِيرِ مَتَى يَكُونُ صِدَامَا؟
«بَدْرٌ» تَعُودُ إِلَى الحَيَاةِ وَ«خَيْبَرٌ» تُلْقِي عَلَى أَقْدَامِهَا الْأَعْلَامَا
شَتَّانَ بَيْنَكَ يَا هُمَامُ وَبَيْنَ مَنْ بَاعَ الْقُبُورَ حِجَارَةً وَعِظَامَا[1]

ولله دَرُّ محمود مفلح حين يقول:

فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْضِي
وَعَلَى هَدْيِ كِتَابِ اللهِ قَدْ أَحْكَمْتُ نَبْضِي
أَرْتَدِي الْفَجْرَ وَأَمْضِي فِي سَبِيلِي

---

(١) الثائر المسلم من ديوان الراية، لمحمود مفلح ص (٣٥، ٣٦)، دار عمار.

فَإِذَا الشَّمْسُ دَلِيلِي

وَإِذَا الأَنْجُمُ فِي قَلْبِي وَأَعْرَاسُ النَّخِيلِ

خَارِجًا مِنْ مِحْنَةِ اللَّيْلِ

وَمِنْ صَمْتِ الْقُبُورِ

نَهَشَتْ أَظْفَارُهُمْ وَجْهِي

وَفِي جَنْبَيَّ عَضَّاتُ الْحَصِيرِ

مُمْسِكًا حَفْنَةَ قَمْحٍ، رَغْمَ عَصْفِ الرِّيحِ وَالأَنْوَاءِ، وَالْجُرْحِ الْخَطِيرِ

وَسُطُورًا مِنْ رَحِيقِ الذِّكْرِ

أَتْلُوهَا فَيَسْتَيْقِظُ سَيْفُ الْحَقِّ

أَتْلُوهَا فَيَصْحُو الشَّوْقُ

أَتْلُوهَا فَتَجْرِي لِلْيَنَابِيعِ طُيُورِي

وَعَلَى هَذْي كِتَابِي

أُبْصِرُ الأَشْيَاءَ مِنْ خَلْفِ الضَّبَابِ

وَأَرَى الأَوْجُهَ مِنْ غَيْرِ قِنَاعَاتٍ وَمِنْ غَيْرِ خِضَابِ

وَعَلَى هَذْي كِتَابِي

أَزْرَعُ النَّخْلَةَ تَجْتَازُ الْمَسَافَات لِتَمْتَصَّ رَحِيقَ الشَّمْسِ مِنْ ثَدْيِ الرَّوَابِي

أَسْمَعُ التَّرْنِيمَةَ الأُولَى لِطَيْرِ الْفَجْرِ

وَالتَّرْجِيعَةَ الأُولَى لِدِيكِ الْفَجْرِ

بَوْحَ(١) الْغَيْثِ لِلأَرْضِ الْيَبَابِ(٢)

وَعَلَى هَذْي كِتَابِي

---

(١) بوح الغيث: ظهور المطر.

(٢) اليباب: الخراب.

أَكْتُبُ الْفَضْلَ الَّذِي يَأْتِي
وَأَخْطُو فَوْقَ حَدِّ الشَّمْسِ أَسْتَنْطِقُ عُرْيَ[1] الْبَرْقِ
كَيْ أُنْقِذَ آلَافَ الرِّقَابِ
قَدْ تَقُولُونَ بِأَنَّ السَّيْفَ فِي كَفِّي أَقَالَتْهُ الْمَعَارِكْ
وَبِأَنَّ اللَّيْلَ هَالِكْ
وَبِأَنِّي لَمْ أَعُدْ أُتْقِنُ شَدَّ الْقَوْسِ تَغْرِيدَ النِّبَالِ
وَالْفُتُوحَاتِ الَّتِي أَدْمَنَهَا الْعُشَّاقُ فِي السَّبْعِ الطِّوَالِ
قَدْ تَقُولُونَ
«وَإِفْكًا مَا يَقُولُ الزَّيْفُ» ضَرْبٌ مِنْ خَيَالْ
قَدْ تَقُولُونَ مُحَالْ
أَنْ يَجِيءَ السَّيْلُ دَفَّاقًا
وَأَنْ تَجْرِي مَعَ السَّيْلِ التِّلَالْ
قَدْ تَقُولُونَ
وَلَكِنِّي أَقُولْ
وَأَنَا جِدُّ خَجُولْ
وَأَنَا أَقْرَأُ فِي فَاتِحَةِ الْعَصْرِ وَأَشْوَاقِ الْحُقُولْ
إِنَّ فِي الدَّرْبِ الْخُيُولْ
وَعَلَى وَقْعِ التِّلَاوَاتِ سَتَخْضَرُّ الْفُصُولْ
وَلَنَا الْيَوْمُ الْجَمِيلْ
وَلَنَا التَّكْبِيرَةُ الْأُولَى
لَنَا الْأُفُقْ

(١) عري: يقال: فرس عري: لا سرج له.

لَنَا الرَّايَاتُ وَالصَّوْتُ الْبَدِيلْ

وَلَنَا السَّيْفُ الَّذِي خَبَّأَهُ الْبَرْقُ إِلَى الْيَوْمِ الثَّقِيلْ

وَلَنَا الشَّجَرُ الأَخْضَرُ وَالْمَاءُ الَّذِي تَجْرِي إِلَيْهِ الطَّيْرُ وَالظِّلُّ الظَّلِيلْ

وَلَنَا قَارُورَةُ الْعِطْرِ الَّتِي تَسْفَحُهَا الشَّمْسُ عَلَى كَفِّ الأَصِيلْ(١)

❊ ❊ ❊

ولله دره وهو يقول:

وَأَقُولُ لِلْجِيلِ الْجَدِيدِ

أَقُولُ لِلْجِيلِ الْمُحَصَّنِ بِالْعَقِيدَةِ وَالْمُتَوَّجِ بِالصَّبَاحْ

وَأَقُولُ يَا جِيلَ الْكِفَاحْ

إِنَّا بَلَوْنَا اللَّيْلَ وَالأَشْبَاهَ وَالْمَوْتَ الْمُؤَجَّلَ وَالْجِرَاحْ

وَأَقُولُ يَا جِيلَ الْمَصَاحِفِ

يَا خَمِيرَ الأَرْضِ يَا طَلْقَ الْوِلاَدَهْ

هَا أَنْتَ كَالْيَنْبُوعِ تَدْفُقُ فِي صَحَارِينَا

وَتَمْنَحُنَا الْوَثِيقَةَ وَالشَّهَادَهْ

❊ ❊ ❊

أَنْتَ الَّذِي سَيُبَدِّلُ الأَوْزَانَ وَالأَحْزَانَ

يَزْرَعُ فِي الْعُيُونِ نَخِيلَهَا

فَلَكَمْ تَبَاطَأَ فِي الرَّحِيلِ عَنِ الْقُرَى عَامُ الرَّمَادَهْ

❊ ❊ ❊

---

(١) قصيدة «عندما تزهر الحروف»، لمحمود مفلح، من ديوانه «إنها الصحوة».

وَأَقُولُ حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ
أَقُولُ حَيَّ عَلَى السِّلَاحِ
فَإِنَّ فِيكَ النَّبْضَ يُورِقُ بَيْنَ تَرْتِيلِ الظَّهِيرَةِ وَالْمَسَاءْ
وَأَقُولُ يَا جِيلَ الْفِدَاءْ
أَكَلَتْ مَوَاسِمَنَا الْجَنَادِبُ
وَاسْتَبَدَّ بِنَا الْحُوَاةُ
وَغَادَرَتْنَا آخِرُ السُّحْبِ فِي السَّمَاءْ
أَنْتَ الَّذِي يَقْتَاتُ جَمْرَ الْمَرْحَلَهْ
هَا إِنَّ أَحْبَارَ الْيَهُودِ تَجَمَّعُوا، هَا إِنَّهُمْ حَشَدُوا لَنَا
فَاقْرَأْ عَلَى تِلْكَ الرُّءُوسِ «**الزَّلْزَلَهْ**»

❊ ❊ ❊

اقْرَأْ عَلَيْنَا بِاسْمِ رَبِّكَ مَا تَيَسَّرَ يَا بِلَالْ
الشَّمْسُ فِي كَبِدِ السَّمَاءِ
وَنَحْنُ فِي وَقْدِ الظَّهِيرَةِ
كَمْ نَتُوقُ إِلَى الظِّلَالْ
اقْرَأْ عَلَيْنَا «**الْمُؤْمِنُونَ**» وَشُدَّ قَوْسَكَ
إِنَّ قَوْسَكَ لَا تَطِيشُ بِهَا النِّبَالْ
كَمْ ذَا سَأَلْتُ فَلَمْ يُجِيبُوا
كَمْ سَأَلْتُ فَلَمْ يُجِيبُوا
أَنْتَ وَحْدَكَ مَنْ يُجِيبُ عَنِ السُّؤَالْ
يَا أَيُّهَا الْجِيلُ الْجَدِيدُ وَيَا سَلِيلَ الطُّهْرِ يَا بَرْدَ الْيَقِينْ

كُنْ بِاسْمِ رَبِّكَ قَلْعَةً لِلْخَائِفِينَ وَمَنْهَلًا لِلظَّامِئِينَ
وَكُنْ رَصَاصًا كُنْ قَصَاصًا
كُنْ جُذُورًا كُنْ طُيُورًا
كُنْ كَمَا شَاءَتْ لَكَ «**الْأَعْرَافُ**» فِي الزَّمَنِ الْعَجِينْ(١)

❊ ❊ ❊

يَا أَيُّهَا الْجِيلُ الْجَدِيدُ
وَقَفْتُ مُنْدَهِشًا عَلَى عَتَبَاتِ خُطُوَتِكَ الْجَدِيدَهْ
وَقَرَأْتُ نَبْضَكَ وَانْطَلَقْتُ بِلَا عِنَانْ
مِنْ سُورَةِ «**الْإِسْرَاءِ**» جِئْتَ وَمِنْ نَقَاءِ «**الْفَجْرِ**»
وَالسَّبْعِ الْمَثَانِي
وَرَأَيْتَ مِنْ خَلْفِ الدُّخَانِ وَجُوهَهُمْ
وَبَلَوْتَ عَرْبَدَةَ الدُّخَانِ
وَحَمَلْتَ جُرْحَكَ وَالْهَجِيرَ
حَمَلْتَ جُرْحَكَ وَالْعَبِيرَ
فَمَا الَّذِي حَمَلَتْهُ أَغْرِبَةُ الزَّمَانِ(٢)

ويقول في قصيدته «**حكاية نسر**»(٣):

قَدْ أَصَابَ النَّسْرَ الَّذِي قَدْ أَصَابَهْ فَدَعِ الْيَأْسَ مَرَّةً وَالْكَآبَهْ
لَا تُفَجِّرْ فِي النَّسْرِ شَوْقَ الْأَعَالِي فَلَقَدْ تَقْتُلُ النُّسُورَ الصَّبَابَهْ

(١) عجن فلان عجنًا: ينهض معتمدًا بيديه على الأرض كِبَرًا. أعجن: شاخ وأسن. العجين: المسن، المخنث، الأحمق.

(٢) قصيدة «جيل الصحوة» من ديوان «إنها الصحوة»، لمحمود مفلح.

(٣) ديوان «نقوش إسلامية على الحجر الفلسطيني»، شعر: محمود مفلح.

لَا تَلُمْهُ فَالنَّوْمُ أَثْقَلَ جَفْنَيْـ ـهِ وَأَرْخَى عَلَى الْمُنَى أَهْدَابَهْ
دَعْهُ فِي سَكْرَةِ الْحَنِينِ فَإِنِّي أَتَقَرَّى فِي مُقْلَتَيْهِ الصَّلَابَهْ

* * *

إِنَّ هُوجَ الرِّيَاحِ تَمْضُغُ سَاقَيْـ ـهِ وَيَشْوِي هَجِيرُهَا أَعْصَابَهْ
ظَلَّ دَهْرًا يُصَارِعُ الْمَوْتَ فَرْدًا وَالْخَفَافِيشُ حَوْلَهُ صَخَّابَهْ
وَذِئَابُ الدُّجَى تُسَاوِرُ فَرْخَيْـ ـهِ وَتَلْوِي عَنِ الصُّعُودِ رِكَابَهْ
وَالْأَلِدَّاءُ[1] يَنْصِبُونَ الْمَنَايَا قَدْ تَدَاعَوْا مِنْ كُلِّ جُحْرٍ وَغَابَهْ
ثُمَّ مَالَتْ عَلَيْهِ بِنْتُ اللَّيَالِي فَإِذَا خَصْمُهُ الْعَنِيدُ ذُبَابَهْ
وَإِذَا النَّسْرُ فِي الْقَصَائِدِ يَسْمُو وَالْفَضَاءُ الرَّحِيبُ يَبْكِي غِيَابَهْ
دَجَّنُوهُ فَلَمْ يُغَادِرْ فِنَاءً وَأَسَالُوا لِلْمُغْرِيَاتِ لُعَابَهْ
صَارَ يَلْهُو مَعَ الْعَصَافِيرِ حَتَّى لَمْ تَجِدْ فِيهِ سَطْوَةً أَوْ مَهَابَهْ
رَكَلَتْهُ فَلَمْ يُحَرِّكْ جَنَاحًا وَاسْتَبَدَّتْ بِهِ فَغَضَّ جَنَابَهْ

* * *

أَيُّ نَسْرٍ هَذَا الَّذِي يَلْعَقُ التُّرْ بَ وَيَحْسُو مِنَ الْأَكُفِّ شَرَابَهْ؟
أَيُّ نَسْرٍ هَذَا الَّذِي نَسِيَ الْوَثْـ ـبَ وَضَاقَتْ بِمُقْلَتَيْهِ الرَّحَابَهْ؟
يَفْقِدُ اللُّبَّ حِينَمَا يَسْمَعُ الصَّوْ تَ وَيَدْنُو إِنْ أَوْمَأَتْ سَبَّابَهْ
كَادَ يَنْسَى مِنْ كَثْرَةِ الزَّحْفِ أُفْقًا عَبْقَرِيًّا وَكَادَ يَنْسَى عُبَابَهْ
وَغَفَا مَرَّةً فَضَجَّتْ حَوَالَيْـ ـهِ بُغَاثٌ[2] وَبَعْثَرَتْ أَسْلَابَهْ
بَقِيَتْ هَكَذَا وَلِلنَّسْرِ زَفْرٌ فَوْقَ صَخْرٍ لَوْ مَسَّهُ لَأَذَابَهْ

---

(١) الألداء: جمع الألَدِّ؛ وهو: شديد الخصومة، الجَدِل: الشحيح الذي لا يزيغ إلى الحق.
(٢) بَغاث الطير، وبُغاثها: ألائمها، وشرارها، وما لا يصيدُ منها، جمع بُغاثة.

وَصَحَا النَّسْرُ حِينَ مَرَّتْ عَلَيْهِ غَيْمَةٌ عَاتَبَتْهُ هَزَّتْ عِتَابَهْ
أَيْنَ أَيَّامُكَ الْعِتَاقُ وَأَيْنَ الْـ ـمَجْدُ يُلْقِي عَلَى خُطَاكَ إِهَابَهْ؟
أَيْنَ يَا نَسْرُ عُنْفُوَانُكَ بِالأَمْـ ـسِ وَمَرْمَى نُجُومِكَ الْوَثَّابَهْ!؟

* * *

نَشَقَ الأُفْقَ فَالْكَوَاكِبُ سَكْرَى إِنَّ لِلأُفْقِ نَكْهَةً جَذَّابَهْ
حَرَّكَ النَّسْرُ جَانِحَيْهِ وَدَوَّى فِي سَمَاءٍ غِرْبَانُهَا جَوَّابَهْ
فَتَوَارَتْ عَنِ الْعُيُونِ وَلاَذَتْ وَتَوَارَتْ أَيَّامُهَا الْكَذَّابَهْ
ثُمَّ شَقَّ السَّمَاءَ بِالْقَفْزَةِ الْكُبْـ ـرَى جَرِيئًا مُحَطِّمًا أَعْتَابَهْ
وَاعْتَلَى صَهْوَةَ الرِّيَاحِ وَمَاجَتْ بَيْنَ عَيْنَيْهِ قِمَّةٌ خَلاَّبَهْ

* * *

وللفرسان أشدو

سأشدو لكم:
... سأشْدُوا!
... وشَدْوي... أعاصيرُ رَفْضٍ؛ ونارٌ تدورْ!
على كلِّ صوتٍ بُجُرْحى يُسلى فراغِ الصدور
ويسرق مِن غضبةِ الثَّار، بركانَ حقدٍ يفورْ!
ويمرُقُ كالإثم... يحجُبُ عني أذانَ المصير...
ويُغري يَدِي عن رَحيق الفِداءِ!
وشوْقِ الدماءِ، وعصف البنادقْ..!
وشِريانها يَسْترَدُّ الكرامةَ من كل باغٍ!

.. ومِن كل سارقْ..!

ويَلْغو بوهمي،

وهيهاتَ يُصغي ضياعي وحُزني!

لِأسْلابِ صيتٍ،

صداهُ زوالٌ على كلِّ أُذْنِ!

... فمعركتي...

... صوتُها فوق صوتِ الوجودِ،

وصوتِ النشيد، وصوت الوَترْ!

وفوق الحياةِ، وفوق المماتِ...

صداها يُدَوِّي بصوتِ القَدَرْ!

... سأشدو لكم...

وشَدْوِي مناجلُ مجنونةٌ بحصاد الهَشيمْ!

تُعَرِّي الجراحَ...

لتسْتلَّ منها قشورَ الرِّياء،

وزَيْفَ العصورْ!

وتهْتِكَ ما بَرْقَعَتْهُ عليْها،

وما كفَّنَتْه بَغايا الستورْ!

وما سَمَّرَتْهُ نعوش الحَقيقةِ،

في دَرْبها مِن ظلامٍ، وزُورْ!![1]

❊ ❊ ❊

---

(١) «سأشدو لكم»، لمحمود حسن إسماعيل ص (١٥٣٩، ١٥٤٠) من الأعمال الشعرية الكاملة، لمحمود حسن إسماعيل.

رفيق صلاح الدين هل لك عودة

زَمَانُكَ بُسْتَانٌ وَعَصْرُكَ أَخْضَرُ   وَذِكْرَاكَ عُصْفُورٌ مِنَ الْقَلْبِ يَنْقُرُ
دَخَلْتَ عَلَى تَارِيخِنَا ذَاتَ لَيْلَةٍ   فَرَائِحَةُ التَّارِيخِ مِسْكٌ وَعَنْبَرُ
وَكُنْتَ فَكَانَتْ فِي الْحُقُولِ سَنَابِلٌ   وَكَانَتْ عَصَافِيرٌ وَكَانَ صُنُوبَرُ
لَمَسْتَ أَمَانِينَا فَصَارَتْ جَدَاوِلاً   وَأَمْطَرْتَنَا حُبًّا وَلَا زِلْتَ تُمْطِرُ
تَأَخَّرْتَ عَنْ نَقْعِ الْوَغَى يَا حَبِيبَنَا   وَمَا كُنْتَ عَنْ نَقْعِ الْوَغَى تَتَأَخَّرُ
سَهِدْنَا وَفَكَّرْنَا وَشَاخَتْ دُمُوعُنَا   وَشَابَتْ لَيَالِينَا وَمَا كُنْتَ تَحْضُرُ
تُعَاوِدُنِي ذِكْرَاكَ كُلَّ عَشِيَّةٍ   وَيُورِقُ فِكْرِي حِينَ فِيكَ أُفَكِّرُ
وَتَأْبَى جِرَاحِي أَنْ تَضُمَّ شِفَاهَهَا   كَأَنَّ جِرَاحَ الْحُبِّ لَا تَتَخَثَّرُ(١)
تَأَخَّرْتَ يَا أَغْلَى الرِّجَالِ فَلَيْلُنَا   طَوِيلٌ وَأَضْوَاءُ الْقَنَادِيلِ تَسْهَرُ
تَأَخَّرْتَ فَالسَّاعَاتُ تَأْكُلُ نَفْسَهَا   وَأَيَّامُنَا فِي بَعْضِهَا تَتَعَثَّرُ
أَتَسْأَلُ عَنْ أَعْمَارِنَا أَنْتَ عُمْرُنَا   وَأَنْتَ لَنَا الْآمَالُ أَنْتَ الْمُحَرِّرُ
وَأَنْتَ أَبُو الْغَمَرَاتِ أَنْتَ وَقُودُهَا   وَأَنْتَ انْبِعَاثُ الدِّينِ أَنْتَ التَّغَيُّرُ
تَأَخَّرْتَ عَنَّا فَالْجِيَادُ حَزِينَةٌ   وَسَيْفُكَ مِنْ أَشْوَاقِهِ كَادَ يُنْحَرُ
حِصَانُكَ فِي سَيْنَاءَ يَشْرَبُ دَمْعَهُ   وَيَا لَعَذَابِ الْخَيْلِ إِذْ تَتَذَكَّرُ
وَرَايَاتُكَ الْخَضْرَاءُ تَمْضُغُ دَرْبَهَا   وَعِنْدَكَ آمَالُ الثُّغُورِ تُقَصَّرُ
نِسَاءُ فِلَسْطِينَ تَكَحَّلْنَ بِالْأَسَى   وَفِي بَيْتِ لَحْمٍ قَاصِرَاتٌ وَقُصَّرُ
وَلَيْمُونُ يَافَا يَابِسٌ فِي حُقُولِهِ   وَهَلْ شَجَرٌ فِي قَبْضَةِ الظُّلْمِ يُزْهِرُ
رَفِيقَ صَلَاحِ الدِّينِ هَلْ لَكَ عَوْدَةٌ   فَإِنَّ جُيُوشَ الرُّومِ تَنْهَى وَتَأْمُرُ
رِفَاقُكَ فِي الْأَغْوَارِ شَدُّوا سُرُوجَهُمْ   وَجُنْدُكَ فِي حِطِّينَ صَلَّوْا وَكَبَّرُوا

---

(١) لا تتخثر: لا تلتئم بسرعة.

تُغَنِّي بِكَ الدُّنْيَا كَأَنَّكَ طَارِقٌ عَلَى بَرَكَاتِ اللهِ يَرْسُو وَيُبْحِرُ
تُنَادِيكَ مِنْ شَوْقٍ مَآذِنُ مَكَّةٍ وَتَبْكِيكَ بَدْرٌ يَا حَبِيبِي وَخَيْبَرُ
وَيَبْكِيكَ صَفْصَافُ الشَّآمِ وَوَرْدُهَا وَيَبْكِيكَ زَهْرُ الْغُوطَتَيْنِ وَتَدْمُرُ
تَعَالَى إِلَيْنَا فَالْمُرُوءَاتُ أَطْرَقَتْ وَمَوْطِنُ آبَائِي زُجَاجٌ مُكَسَّرُ
هُزِمْنَا وَمَا زِلْنَا شَتَاتَ قَبَائِلٍ تَعِيشُ عَلَى الْحِقْدِ الدَّفِينِ وَتَزْأَرُ
يُحَاصِرُنَا كَالْمَوْتِ بِلْيُونُ كَافِرٍ فَفِي الشَّرْقِ «هُولَاكُو» وَفِي الْغَرْبِ «قَيْصَرُ»
أَيَا فَارِسًا أَشْكُو إِلَيْهِ مَوَاجِعِي وَمِثْلِي لَهُ عُذْرٌ وَمِثْلُكَ يَعْذُرُ
أَنَا شَجَرُ الْأَحْزَانِ أَنْزِفُ دَائِمًا وَفِي الثَّلْجِ وَالْأَنْوَارِ أُعْطِي وَأُثْمِرُ
وَأَصْرُخُ يَا أَرْضَ الْمُرُوءَاتِ اِحْبَلِي لَعَلَّ صَلَاحًا ثَانِيًا سَوْفَ يَظْهَرُ

* * *

❏ **إلى الصابرين المتطلِّعين إلى فجر الإسلام الآتي:**

سأشدو لكمْ..
وأُشعلُ بالحرفِ أشواقكمْ
وأعصر في الشدو أيامَكمْ
وأمتص منكْم رَمادَ الظلام
وأسقيه نورًا لأحلامكم..
وأعزِف ما عِشتُ للحائرينَ
وللواقفينَ على بابِكمْ..

* * *

..سأشدو لكمْ
وأسقي العطاش بأكوابكمْ..

وأسْتَلُّ من سَكراتِ الظلام
شُعاعاً يغنِّي لأسرابكمْ..
فلي روضة إن دهاها الخريفُ
ربيعي على صدرها كل حينْ
ولي رشفةٌ من رحيق عميقٍ
بساتينُهُ عِطرُها لا يحينْ
من الروح للروح يجري شذاهُ
وتنهلُّ أنهاره في الجبينْ..
ولي قدرٌ في دمي ناغمٌ
تلاغيه إصغاءةُ العابرينْ..
عبرتُ الوجود بلا أي فُلْكِ
ولا أي موجٍ يناجي السفينْ
سأشدو لكمْ..
وأشعل بالحرف أشواقَكمْ
وأعصر في الشدو أيامَكمْ..
وأسكُبها في دم الحائرين
صلاة لفجر قريب لكمْ..

* * *

فهيا نغني على دربه..
لتشربَ نجواهُ أبصاركمْ..
وهيا نشد إليه الزمامَ

ليخضَّرَ للروح بستانكمْ..
وتدنو لكم يانعاتُ الثمارِ
قطوفاً.. قطوفًا لأطياركم
ولا تبقى تأويهةٌ للحيارى
تنغض بالسخط أيامكم

❊ ❊ ❊

أصيخوا فإنِّي لكْم رافضٌ
إذا لم تردوا إلي الجبينْ..
فقد ضاعَ وجهي .. في غفلة
وضاع الغناءُ وضاعَ الرنينْ..
وقلبتُ غيبي في كُلِّ أفقٍ
لعلي أعودُ مع العائدينْ..
لعلي أرى الأرضَ ألقتْ كراهَا
ودبتْ بها صحوة النائمينْ..
لعلَّ الأسى في اختلاج الوجوهِ
تشبُّ القيامة في الراقدينْ..
لعل المنادي يهزُّ الدروب
ويسقي خطاها لظى الغاضبينْ..
لعلي أرى فوقَهَا كلَّ شيءٍ
حصادَ انتقامٍ وسُخط دفينْ!!
لعلي أرى سجدات السماء

عليها أعادت شذى المرسلينْ
وردتْ عبيرًا سحقنا رياهُ
ودسناهُ قبل خُطا المجرمينْ!!
لعلي أرى كلَّ شيء إباء
ورفضًا لهذا ا لوجود المهينْ!!
سأشدو لكم..
وتشدو معي ذكرياتُ الضياءْ
ويشدو الصباح ويشدو المساءْ
ويَشدو اللسانُ ويشدو الضمير
ويشدو الزمانُ ويشدو المصير
ويَشدو لقاءٌ مع النور فاتْ
ويشدو لقاء بكفيه آت..
ويشدوهُ صحوٍ ويشدو سباتٍ
وتشدو المعاركُ والتضحياتْ..
وتشدو المناراتُ والمعجزات
وتفنى الأباطيلُ والترهات..
ضممتم خطاكم .. فسار الضياءْ
ومدَّ على كل أرض سماء..
وفرقتموها فحاق الظلامْ
وصرتُم نَداماهُ تَحت الخيام..
وكنتم مع النور مَوجَ الطريق
فصرتم بِلاهُ لُهاثَ الغريق

وكم قالَ والحقُ فيه نَشيد
وأنتم لما لم يَقُلْهُ عبيد
فقال: اتبعوني أزدكُم ضياءْ
فَدُرْتُم نشاوى بخمر الرياء
أديروا على النور أقداحَكمْ
تروا آيةَ النور تمحو الغروب
وتشرق في كل وجهِ سلامًا
وعدلاً ورؤيا وجودِ خصيب

***

... وماذا أنا ... إن أَطَلَّ الضياءْ
ولم يلقَ في الأفق تسبيحَ جفني!!
ولم يلقَ فيَّ انعتاقِ الصباحِ
وإيماضهُ في حشاشاتِ لحني!!
ولم يلق فِيَّ المدى مستمرًا
إلى الشمس يعرفُ منها لكوني!!
وماذا أنا ... إن عَبرتُ الوجود
أناديه... أين الذي ضاع مِنِّي؟
ولابد ... وجهي لوجهي يعود
ولو خطفته أساطيرُ جنٍّ!!
سأستلُّ ذاتي ... فإن لم أجدها
سأستلُّ ما بين ذاتي وبيني

وأُشْعِلُ فيها ضرامَ التحرُّكِ
من عارها الخامد المطمئنِّ
وأضري بها نشوة الناظرين
ليوم ضحاهُ أهاويلُ جن
... فلابدَّ من غضبةٍ نارها
تردُّ الذي ضاع منكم ومني!!
ولابد أَمْسِي ليومي يعود!!
ويأتي غدي عاتيًا في الصعود
ومهما استبد عويل الظلام
وَغَطَّ بجنبيه خزيُ النيام
فللفجر شوقٌ لأبوابكم
وللثأر دقٌّ بأعتابكم
فأصغوا بنار الليالي إليَّ
ولن يهدأ الحرف في راحتيّ
إذا لم يعد لي جبيني الأبيْ!!
وحتى تعودَ لوجهي سماهْ
ويرجعَ للأفقِ عاتي ضحاهْ...
...سأشدو ...وأشدو لكم لا أملْ!!
ولو ضاعَ - لا ضاع - باقي الأجلْ!![1]

* * *

(١) من قصيدة «سأشدو لكم»، لمحمود حسن إسماعيل، بتصرف.

أمل ... أمل ... أمل

وجودي أمَلْ
وعمري أَمَل
وكل حياتي أَمَلْ
ومهما تكن خافياتُ الأجلْ
فإني أملْ
ودرب جديد لشطِّ الأمل
فلو هاجت الريحُ
كنتُ لموجي شْراعَ السفينْ
ولوْ زمجرَ الموْجُ
كنتُ ضِفاف السكونْ
ولو ذُبِلَتْ زهرتي في شعاب الجبلْ
فربي سيخْلقُ منها الأمل
يُجدِّدها روضةً يانعهْ
وينسخها جنةً رائعهْ

❊ ❊ ❊

خُلِقْتُ لأنسِجَ من كل موتٍ حياةْ
ومن كل أمسٍ غدًا واثبًا في خطاهْ
ومن كلٍّ ليلٍ ضياءْ
ومن كلٍّ دَمْعٍ صفاءْ
فإنْ شجري قطعته أيادي الخريفْ

ربيعي سيحييه غضُّ القُطوفْ
... وإنْ زهري أسقطته الرياحْ
سيأتي مع العطر عند الصباحْ
ولو مزَّق الشوكُ أحلام قلبي
فحبي وإيمانُ قلبي وروحي
يذيبان جمرَ الأسى من جروحي!!
سأفضي بدربي إلى كلِّ فجٍّ
ولو كان ما بين ريحٍ ولُجٍّ
ومهما بروضي غصنٌ ذَبَلْ
سيحييه للفجر روض الأملْ
وجودي أملْ
وعمري أملْ
وكل حياتي أملْ[1]

* * *

(١) قصيدة «أمل»، لمحمود حسن إسماعيل ص (١٤٧٣ ـ ١٤٧٥)، من الأعمال الشعرية الكاملة له.